السمير المهذب

مجموعة قصص تهذيبية ، وحكايات خلقية ، وأمثال أدبية

تأليف واختيار وتعريب

علي فكري

الأمين الأول لدار الكتب المصرية

الجزء الأول

من أربعة أجزاء

الطبعة الأولى

١٣٤٧ هـ — ١٩٢٨ م

يطلب من ملتزمي طبعه ونشره

عيسى البابي الحلبي وشركاه

أصحاب

دار إحياء الكتب العربية

السمير المهذب

مجموعة قصص تهذيبية، وحكايات حقيقية، وأمثال أدبية

تأليف واختيار وتعريب

علي فكري

الأمين الأول لدار الكتب المصرية

الجزء الأول

من أربعة أجزاء

الطبعة الأولى

١٣٤٧ هـ — ١٩٢٨ م

يطلب من ملتزمي طبعه ونشره

عيسى البابي الحلبي وشركاه

أصحاب

دار إحياء الكتب العربية

يطلب من ملتزمين طبعه ونشره

عيسى البابى الحلبى وشركاه

أصحاب

دار إحياء الكتب العربية

صندوق بوستة الغورية نمرة ٢٦

بجوار سيدنا الحسين بمصر

تنبيه هام

الغرض من دروس التهذيب

الغرض من دروس التهذيب أن تروض نفوس التلاميذ على الفضيلة ويحبب اليهم الخير حتى يشبّ الطفل مطبوعا على حميد الخصال نافعا لنفسه ولأمته .

وتبنى هذه الدروس على القصص والحكايات واستنباط الفضائل منها . وليس الغرض من ذلك سرد التاريخ ولا استقصاء الحوادث ولا قيد وفاة أو ميلاد بل الغرض استرعاء ذهن الطفل والاستعانة بميله الفطرى الى سماع الحكايات على تجلية الفضيلة فى مظهر جميل محبوب

والمدرس بمهارته يستطيع أن يجعل درس التهذيب أحب الدروس الى الطفل وأكثرها فائدة له اذا صاغ القصص والحكايات فى أسلوب جميل شائق وهبط الى منزلة الأطفال الفكرية فكان لفظه سهلا ومعناه قريبا ، وبث فى حكاياته

مايغذى في الطفل الخيال ويلائم كثيرا من غرائزه .

هـذا ماجاء فى منهج التعليم الابتدائى للبنين في صفحة ٢ الذى وضعته وزارة المعارف العمومية قريبا فى سنة ١٩٢٨

وعلى نهجه قد وضعت كتابى هذا والله الموفق لما فيه النفع لأبناء أمتنا المصرية العزيزة . وأرجو أن ينال القبول فيكون لى غاية المأمول ؟

على فكرى

مصر الجديدة فى يوم الاثنين ١٣ جمادى الثانية سنة ١٣٤٧
٢٦ نوفـمـبر سنة ١٩٢٨

المقدمة



وبه أستعين

الحمد لله على ماوهب ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد العجم والعرب ، وعلى آله وصحبه رجال الفضل والعلم والأدب

وبعد فما أثبتته التجربة ودلت عليه المشاهدة أن للاطفال شغفا كبيرا بمطالعة القصص والحكايات والأمثال . وأن تأثيرها فى نفوسهم وتصوراتهم أمر مشاهد لاينكر . وأن لها نصيبا كبيرا فى تسليتهم وادخال السرور عليهم

ولهذا استحسن كثير من حضرات المعلمين والمعلمات ، فى تهذيب البنين والبنات ، سرد قصص وحكايات وضرب أمثال عن الأنبياء والخلفاء والعلماء والأمراء والعظماء والصالحين وغيرهم بحيث تنطوى على كريم أخلاقهم ومحاسن صفاتهم بأسلوب جميل شائق بدون أن يرى الأطفال صعوبة فى فهمها أو يجدون مشقة فى درسها وحفظها حتى تشعر نفوسهم

ونمي قلوبهم حقيقة ماتحوى هـذه القصص والحـكايات والأمثال من فضائل وشمائل ومفاخر ومآثر وشيم حسنة وأخلاق كريمة مرضية

وبذلك يعتادون من صغرهم التحلى بأخلاق كرام من يقرؤن سيرهم ويقفون على أخبارهم وينسجون على منوالهم فتنغرس فى نفوسهم أصول الفضائل وتتمثل أمامهم أمهات مكارم الأخلاق التى تجذبهم الى محاسن الخصال ، وجميل الفعال ، وتبعدهم عن النقائص وقبيح الأعمال

ولما كانت القصص والحـكايات والأمثال أفضل وسيلة لتربية النَشء تربية أدبية عملية رأيت أن أستخلص من كتابى سبل النجاح وتقويم الأخلاق ومن كتب الأدب عربية كانت أو أفرنجية مجموعة من القصص التهذيبية ، والحكايات الخلقية ، ووضعتها فى هذا الكتاب لتبين ما للطيب من الفعل الحسن والخلق الحميد ، وما يكون له من جميل الذكر وحسن المآل . وما للخبيث من الفعل القبيح والخلق السيء ، وما ينجم عنهما من سوء العاقبة وسوء الحال

وقد سميته « السمير المهذب » ليكون سميرا لهم فى مطالعتهم ومهذبا لأخلاقهم .

وقد راعيت فيه سهولة العبارات التى تقرب الى أفهامهم معانى مكارم الأخلاق وتنفذ الى قلوبهم فتحيي منهم الشعور وتهديهم الى محاسن الأمور

والله تعالى أسأل أن يلهمنا فى جميع أقوالنا وأفعالنا السداد، ويوفقنا الى مافيه خير العباد، ونفع البلاد، انه السميع المجيب وهو حسبى ونعم الوكيل ؟

السيد على فكرى

الأمين الأول لدار الكتب المصرية

مصر الجديدة فى يوم الثلاثاء ٩ اكتوبر سنة ٩٢٨

حكايات وأمثال فى فضل العلم

طلب العلم خير من طلب المـال

مثال أول

وقف طالب علم بباب أحد العلماء ونادى :

أحسن إلي أيها الـكريم بشيء مما جاد الله به عليك . فأمر له بطعام وبعض نقود . فردها عليه بلطف وشـكر له كرمه وقال : إن حاجتى إلى علمك أشد من حاجتى إلى طعامك ومالك .

فبش العالم فى وجهه وأدخله على الرحب والسعة . وأفاده فى كل ما سأله عنه . فخرج الطالب فرحا مسرورا ولسان حاله يقول :

علم يهدى إلى سواء السبيل   خــير من مال جزيل

ولقد صدق من قال :

العلم خير من المال ، لأن العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم يزيد بالانفاق ، والمال ينقص بالنفقة .

مثال ثان

يحكى أن أحــد الاغنياء كان له ثلاثة أولاد . فلما أحسَّ بدنو أجله أحضرهم لديه وقال لهم : قددنا الأجل ، وانقطع من الحياة حبل الأمل ،

فاذا حللت فى الرمس ، فاعملوا بهذا الدرس ، أوصيكم أولا بتعلم العلم والتمسك بالاستقامة والحلم ، واقتسموا مالى وحافظوا عليه ، ولا تسيئوا التصرف فيه ، وحافظوا على صحتكم ، وكرامتى وكرامتكم .

فلما توفى الوالد النصوح تنازع الكبيران مع الصغير واقتسما المال بينهما شطرين ، وأخبراه بأنه سرق وتركاه صفر اليدين .

فلم يهتم الصغير بذلك بل عمل بوصية الوالد ، وعلم أن المال فانٍ والعلم خالد ، فتعلق بأذيال العلماء الأفاضل وشمر عن ساعد الاجتهاد ، وسلك سبيل الرشاد ، حتى بلغ المراد .

أما الأخوان الكبيران فأغراهما حب المال ، وأوقعهما فى أسوء حال بل فى وحال ، حيث أساءا استعماله وانتهكا الحرمات وعصيا الملك الديان ، واتبعا خطوات الشيطان . وكانت عاقبتهما الوبل والخسران .

فلما رأيا أخاهما الأصغر قد قام بوصية أبيه وأصبح رافلا فى حلل السعد متشحا بوشاح السؤدد والمجد ، تقدما اليه وقبلا يديه وطلبا منه العفو والسماح ، فقابلهما بكل ارتياح ، وغمرهما بعفوه ورضاه وأنشد يقول :

رضينا بالعلوم تكون فينا ... مخلدة وللجهال مال

فان المال يفنى عن قريب ... وان العلم باق لايزال

مثال ثالث

نظر أحد العلماء الى رجل غنى جاهل عليه ثياب مطرزة ممتطٍ مهرة عربية وهو يسير فى الطريق مختالا مصعرا خــده معجبا بنفسه ، فقال لرفيق كان معه : ماذا ترى فى هذا الفحل يلبس الديباج ويركب الخيل ؟

فأجابه : مثله كمثل تمثال غليظ منقوش بمــاء الذهب ولولا العمامة والقفطان والفرس لــكان الاصطبل أجدر بهذا الفحل لأنه لاقيمة له الا بها . ولاقدر له الا بمقدارها فقال العالم : حقاً ان العاقل المتعلم هو غنى بنفسه وعلمه؛ أما الجاهل فمهما صاغ بابه من ذهب ، ورصف بيته بالزبرجد واكتسى ثوبا جميلا منسوجا بخيوط العسجد ، فلا هذا يعلى من قدره ولا ذاك يرفع من ذكره . ولقد صدق الشاعر فى قوله :

العــلم كنز وذخر لافناء له ... نعم القرين اذاماصاحب صحبا
قد يجمع المال شخص ثم يحرمه ... عما قليــل فيلقى الذلّ والحربا
وجامع العــلم مغبوط به أبدا ... ولا يحاذر منه الفوت والسلبا
ياجامع العلم نعم الذخر تجمعه ... لاتعدلن به درّا ولا ذهبا

أطلب العــلم من المهد الى اللحد

يحكى أن ابراهيم بن المهدى دخل على المأمون وعنده جماعة يتكلمون

فى الفقه فقال : ياعم ماعندك فيما يقول هؤلاء ؟ فقال يا أمير المؤمنين
شغلونا فى الصغر واشتغلنا فى الكبر : فقال له . لِمَ لاتتعلمه اليوم ؟
قال : أو يحسن بمثلى طلب العلم وقد كبر ؟ .
قال : نعم، والله لأن تموت طالبا للعلم خير من أن تعيش قانعا بالجهل
قال : والى متى يحسن بى طلب العلم ؟
قال : ماحسنت بك الحياة . أطلب العلم من المهد الى اللحد .

العلم بالعمل

أراد كبير من كبار الأساتذة أن يتعلم فن السباحة فأحضر كتب السباحة وقرأها وجعل يتدرب فى حجرته فوق السرير تارة ، وعلى سطح الأرض تارة أخرى ، حتى أيقن بالقدرة على أن يسبح فى الماء ؛ فجمع تلاميذه واخوانه الأساتذة ليسبح أمامهم فى البحر . فلما نزل تلقفته الأمواج هذه تأخذه ، وتلك تتركه ، حتى أوشك أن يهلك ؛ فأسرع اليه الناس وانتشلوه من بين لجج البحر ؛ فلو أنه أجرى تجاربه وتدريسه عمليا فى البحر لكان من الناجحين ؛ لأن العلم بالعمل .

علم بلا عمل كنحل بلا عسل

دخل أحد العمال يوما على أحد الملوك بإذنه فوجد حوله جماعة من

العلماء سكوتا كأن على رؤوسهم الطير ولم يكن يعرف من العلم إلا قليلا ، فقال له الملك :

ليتك كنت عالما ، فان مثقال ذرة من العلم أفضل من جهاد الجاهل ألف عام .

فقال العامل : صدقت يمولاي ، ولكن ما المنفعة منى إذا حويت علوم الأولين والآخرين وكنت لا أبرح من خباتى ولا أقوّم حياتى الا بما تتصدق به عليّ كهؤلاء العلماء الذين قال الله عنهم :

« إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللهِ لَانُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا »

فأعجب الملك من جوابه وقال : حقاً علم بلا عمل ، كنحل بلا عسل ومثل العالم الذى لايعمل ، كمثل حامل السراج يضىء لغيره ولا ينتفع بالنور ولله در القائل :

العلم أشرف شىء ناله رجل من لم يكن فيه علم لم يكن رجلا
تعلم العلم واعمل ما استطعت به فالعلم زين لمن بالعلم قد عملا

من لم يتحمل ذل التعلم ساعة
عاش فى ذل الجهل أبداً

خرج تلميذ للهو واللعب تاركا دروسه ، مهملا واجباته . ثم جلس فى بستان فرأى عصفورا فوق شجرة تعلم أولادها الطيران فأخرجت

الأول ! ثم طارت أمامه من أسفل الغصن الى أعلاه ، ومنه الى مايجاوره ! ثم الى أبعد منه وهو يتبعها ! وما زالت به تعلمه حتى قدر أن يفارق الشجرة الى شجرة أخرى فتركته . وجاءت لغيره وعلمته . وهكذا حتى صادفها فرخ من فراخها لم يقدر على اتباعها فأخذته الى العش ونقرته نقرا خفيفاً وأخرجته وطارت فتبعها ثم عجز ، فأخذته ونقرته نقرا شديدا وطارت فتبعها وما زالت به حتى صار كاخوته وتمتع بهذا الفضاء الفسيح ، يطير فيه و يصيح .

فلما رأى التلميذ المهمل مارأى خاطب نفسه وقال : ان أنا تحملت ألم التعلم جزءاً من حياتى . عشت سعيدا كما يعيش هذا العصفور . ثم اعتنى بدروسه فكان من أهل السيادة والسعادة . وفى هذا يقول الأمام الشافعى رضى الله عنه :

ومن لم يذق ذل التعلم ساعة يجرع ذل الجهل طول حياته
ومن فاته التعليم وقت شبابه فكبر عليه أربعاً لوفاته
حياة الفتى والله بالعلم والتقى اذا لم يكونا لا اعتبار لذاته

وقال رجل لأرسطو : انى لا أستطيع صبرا على تحمل تعب العلم فأجابه أرسطو الفيلسوف : اصبر اذن على شقاء الجهل .

مصاحبة العلماء فائدة وشرف

أصيب (هوبر) العالم المشهور فى التاريخ الطبيعى بكفاف البصر وهو بين الأقلام والمحابر مكباً على الدرس والاستطلاع فكبر عليه المصاب وضاقت الدنيا فى وجهه وأسف على فقده أعظم حاسة فى نفسه وأشد ما يحتاج اليه فى أعماله ففكر فى أن يستعين بخادم عنده سليم العينين وقد آنس فيه ميلا للعلم ورغبة فى التحلى بحلاه فقال له : أعنى ياولدى على اتمام تجاربى وكن عينى الباصرة وأنا أتمم لك معارفك

فقبل الخادم بكل ارتياح طلب مولاه ، وصار لايفارقه فى تجاربه ودروسه وكان له عينين مبصرتين .

وكان من ذلك أن اكتشف (هوبر) وقرر من الفوائد مالا يمكن تقديره

وكان من مصاحبته الخادم له أن استنارت بصيرته وتثقف عقله وغرس الميل للعلم فى قلبه .

فلما مات أستاذه دأب على التحصيل وأكبَّ على درس الشريعة الغراء حتى صار قاضيا مشهورا

الجهل عمى

يحكى أن صانعا أمياً شاهد أن بعض الناس يستعمل المنظار (النظارة)

عند ما يطالع أو يكتب فظن أن النظار هو الذى يعرفهم القراءة والكتابة فذهب لساعته الى حانوت بائع المناظير وطلب منه منظارا فأراه أنواعا كثيرة فأخذ واحدا منها ووضعه على أنفه وفتح كتابا ليقرأ فلم يعرف شيئاً فقال : هذه النظارة ليست جيدة فأحضر له غيرها فوضعها على أنفه وصار يجهد نفسه ليعرف ولو حرفا واحدا فلم يميز الألف من الباء . فقال للبائع وهو مقطب الجبين : وهذه أردأ من السابقة . فلما ضاق صدر البائع وعيل صبره قال للمشترى : أتعرف القراءة والكتابة ؟ . أجاب : كلا ، لأنى ان كنت عارفا لماذا جئت الى هنا .

فضحك البائع وضحك السامعون معه وقال له أحدهم :

هذا الدكان ليس مدرسة ولو كان الأمر كما ظننت ما كان فى الدنيا جاهل وأنشد آخر :

ومن طلب العلوم بغير درس ... سيدركها اذا شاب الغراب

فأجاب الرجل : حقاً أن الجهل عمى . ثم انصرف

بالعلم يرقى الانسان الى أعلى الدرجات

مثال أول

إن (استيفنص) مخترع السكة الحديدية الذى بلغ من الغنى والمجد

مبلغا عظيما . كان فى أول أمره وقاداً لآلة بخارية . فلما رأى ألا سبيل له إلى الأرتقاء إلا بتوسيع معارفه جعل يقتصد من دخله القليل ويتعلم فى إحدى المدارس الليلية وينفق مايزيد من دخله فى أجر تعلمه . وكان كلما زاد علما زادت أجرته . وكلما زادت أجرته زاد انفاقه فى سبيل العلم حتى جمع فى رأسه ما مكنه من اختراع السكة الحديدية التى كانت سبب ثروته وسعادته .

مثال ثان

إن (واط) مستنبط الآلة البخارية كان يحترف بصناعة التجارة . ويشتغل فى أوقات فراغه بالمطالعة ودراسة العلوم واللغات وما زال يدأب على العمل حتى تمكن من اختراع تلك الآلة . وهذا هو شأن الكثير من العلماء والحكماء الذين لم يستكينوا للفقر بل جعلوه مرقاة لبلوغ ذرى المجد كما قال الشاعر :

العلم يرفع بيتا لاعماد له والجهل يهدم بيت المجد والشرف

مثال ثالث

قال أحد أعضاء البرلمان الأنجليزى عن نفسه :

كنت فى حداثة سنى أعمل فى منجم من مناجم الفحم الحجرى .

وأجمع من أجرتى صيفاً . ماأدفعه أجرة تعلمى شتاء . وما زال هذا ديدنى حتى اتسعت معارفى . وتمكنت بعلمى من مزاولة أعمال ذات شأن ووصلت إلى ما أنا فيه الآن .

ولقد صدق من قال :

العلم زين وتشريف لصاحبه   فاطلب هديت فنون العلم والأدبا
كم سيد بطل آباؤه نجب   كانوا الرءوس فأمسى بعدهم ذنبا
ومقرف الآباء ذى أدب   نال المعالى بالآداب والرتبا

مثال رابع

إن (غار فيلد) أحد رؤساء حكومة الولايات المتحدة تربى فى فقر ليس بعده من مزيد . ولكنه جنح إلى العلم ، وكان يخدم المزارعين أيام الحصاد، وينفق بعض أجرته على أمه ، والبعض الآخر أجرة المدرسة التى كان يتعلم فيها . وكان يغتنم ساعات العطلة المدرسية و يساعد النجارين و يربح مايساعده على العيش وعلى شراء الكتب النافعة حتى نبل ذكره ، واشتهر اسمه ، والأمريكيون — وهم من أغنى الشعوب فى العالم — لم يروا غضاضة فى اختيار هذا الرجل الفقير رئيساً لهم .

ثم سهروا عليه فى آخر أيام حياته كما تسهر الوالدة على ولدها وأهدوا أسرته من التحف والمال ، ماجعلها طيبة الخاطر مرتاحة البال .

مثال خامس

رئيس الولايات المتحدة الجديد المستر (هوفر)

قد نشرت الصحف المصرية أخيرا خبر انتخاب المستر (هوفر) لرياسة الولايات المتحدة بأمريكا وتسابقت الشركات البرقية (التلغرافية) فى نشر تفصيل حياته وفى أنه كان فى بدء عمله بائعا للصحف ، ولكنه اهتدى بفضل ذكائه وعلمه إلى من يأخذ بيده ويمهد له السبيل فى إنماء ذكائه وتوسيع مداركه وتكوين شخصيته حتى ارتقع من الحضيض الى القمة الاجتماعية والدولية وقام الآن على رأس الملايين من أبناء الأمة الأمريكية ينعم بقدرة وسلطان لاينعم بهما ملك على وجه الكرة الأرضية .

وهكذا تقدر الرجال بالأعمال ، ويبلغون بالذكاء والعلم غاية السعادة ومنتهى الآمال .

التلميذ المجتهد

مرّ تلميذ باحدى السيدات وهو يبكى فسألته عن سبب بكائه فقال : إن المعلم أمرنا بحفظ قصيدة كبيرة ووعد من يتقن حفظها ويجيد إلقاءها بمكافأة عظيمة . ولكنى بطىء الحفظ وأخشى وصول المكافأة لغيرى مع رغبتى الشديدة فى الحصول عليها .

فقالت السيدة : ألم ترَ هذا النمل كيف يحاول الصعود فوق الشجرة مع بطء حركته و بعد المسافة عليه ؟ ولكن باجتهاده المستمر وتركه جميع مايشغله وصل الى مقصده . فاذا حفظت كل يوم جزءاً من القصيدة تاركا كل مايشغلك غير مبال بما تظن من بطء الحفظ فانك تنال المكافأة لامحالة . فعمل التلميذ بهذا الرأى السديد واستمرّ فى الحفظ حتى حفظ القصيدة حفظا جيدا .

ولما أتى وقت الامتحان أجاب هذا التلميذ المجتهد إجابة أعجبت المعلم والتلاميذ . فنال المكافأة وحاز الثناء الجميل .

ولقد جاء فى الحكم : لكل مجتهد نصيب . ومن جدّ وجد . ومن سار على الدرب وصل .

التلميذ المهمل الكسلان

جلس عثمان مرّة يتحدث مع بعض أقاربه و بعد أن تداولوا فى موضوعات مختلفة دخل عليهم ولد له ، عمره نحو عشرين سنة وناوله جريدة يومية ففتحها واذا فيها نتيجة امتحان الشهادة الابتدائية . وكان فى جملة الممتحنين ابن أخ له لم يرَ اسمه بين أسماء الناجحين فقال : ياترى ماسبب سقوطه وهو قد اشتغل كثيرا ؟

فقال بعض الحاضرين ممن كان يعرف الولد المذكور حق المعرفة :

لاعجب فى ذلك . وان كان قد اشتغل كثيرا . ولكن لم يشتغل بجد إلا فى هذه السنة . أما فى السنوات الماضية فطالما رأيناه يهمل دروسه بل لم يهتم بها تقريباً فاذاً لا تستغربوا عدم نجاحه فى الامتحان بل تأسفوا على تلك الأيام الثمينة التى أضاعها فى اللهو والبطالة والكسل وهذه عاقبة كل من ضيَّع وقت صغره فى اللعب والكسل وضرب صفحا عن المستقبل . وهذا ينطبق على قول الشاعر :

أطلب العلم ولا تكسل فما أبعد الخير على أهل الكسل

الفرق بين التلميذ العالم والتلميذ الجاهل

سأل معلم تلميذا بليدا متقدما فى السن . فقال له :

من خلقك ؟ فاحتار التلميذ فى أمره وأخذ يلتفت يمينا وشمالا بدون أن يجيب . فكرر المعلم السؤال وألحّ فى طلب الجواب . فأجاب التلميذ مترددا : لقد خلقتنى أمى .

فستغرب الاستاذ هذا الجواب ، وتعجب من جهل هذا التلميذ . ثم سأل تلميذا آخر صغير السن السؤال نفسه .

فأجابه : ان الله خلقنى وصوّرنى وأحسن صورتى وتلا قوله تعالى : (لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) فقال له المعلم : لقد أحسنت الجواب أيها التلميذ النبيه .

ثم قال للتلميذ الكبير : هذا أصغر منك سنا وقد أحسن الجواب فلماذا لم تجب قبله ؟

قال : لأنى ولدت من زمن طويل ، ولذلك قد نسيت من خلقنى . أما هذا الولد الصغير فولد من عهد قريب ولذلك لم ينس خالقه . فضحك المعلم والتلاميذ وحكموا بجهله وسخافة عقله . وأنشد قول الشاعر :

أخو العلم حىّ خالد بعد موته   وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى   يظن من الأحياء وهو عديم

الغنىّ العاقل المتعلم

مرض تاجر غنىّ وشعر من نفسه بدنو أجله وانقضاء عمره فاستدعى ولدا له وأوصاه فقال : ياولدى ان ورثتنى وفزت بثروتى فلا تهمل تعليمك وتهذيب نفسك وتدريبها على عمل من الأعمال فقد يذهب الذهب وتزول دولة الغنى . ولا ترى نصيرا تلجأ اليه فى الفاقة وتستغيث به لدى الحاجة فلا يبقى لك سوى ما اكتسبت من العلم والمعرفة وما علمته بالممارسة . ولقد صدق من قال :

بالعلم والعقل ، لا بالمال والذهب   يزداد رفع الفتى ، قدراً بل طلب
كم يرفع العلم ، أشخاصا الى رتب   ويخفض الجهل ، أشرافا بلا أدب

العلم كنز ، فلا تفنى ذخائره   والمرء ما زاد علماً زاد بالرتب
فالعلم، فاطلب لكى تحظى بجوهره   كالقوت للجسم، لا تطلب غنى الذهب

الغنىّ الجاهل وعدم تقديره للعلم

جاء أحد الاغنياء إلى حكيم من حكماء اليونان والتمس منه أن يتعهد ابنه بالتربية والتعليم . فطلب الحكيم أن ينقده خمسمائة قطعة من النقود الفضية مقابل التعليم ، فاستعظم الغنى ذلك المبلغ الحقير فى جانب تلك الخدمة الجليلة وقال وهو حاقد :

إن فى استطاعتى أن أشترى عبدا بأقل من ذلك .

فاستقبح الحكيم بخل ذلك الرجل وجهله وقال له :

أولى لك أن تشترى به عبدا كي تصبح مالكا لعبدين . وقد قصد الحكيم بذلك أن الانسان الجاهل مثله مثل العبد الذى يشترى ويباع وليس العبد من يستعبده غيره ، بل من يُستعبد لجهله .

بالاجتهاد يُنال المراد

يُحكى أن فتى كان يدرس علم الجبر استعدادا للدخول فى إحدى المدارس العالية . فأعطاه المعلم ثلاث مسائل وطلب منه حلّها . فأتى فى اليوم التالى وقد حل اثنتين منها . وأما المسئلة الثالثة فاستعصى عليه

حلّها . فقال له معلمه : أتريد أن أحلّها لك ؟ . فأجابه الفتى : كلا يا أستاذى فانى أستطيع حلها بنفسى اذا أمهلتنى يوما آخر .

فقال له المعلم : أمهلك يومين بل أياما .

واستمرّ يعطيه دروسا كان يقوم بها الطالب . وأما المسئلة الثالثة فبقيت ممتنعة عليه .

فقال له المعلم : أتريد الآن أن أعلمك حلّها ؟

فأجابه : كلا فانى أستطيع إذا أمهلتنى يوما ثالثا

فقال المعلم : إننى أمهلك أياما حسبما تريد

ثم جاء فى اليوم الثالث وعلامات الظفر بادية على وجهه وعرض حلّها على معلمه . فاذا هو صحيح محكم .

ومن ثَمّ تولدت فيه روح البحث والاستقلال بالعمل وأخذت تزداد عنده محبة العلوم الرياضية . فتعلق بها وغاص فى بحرها . واستخرج منها الدرر الغوالى وأصبح من أشهر الرياضيين . وحقا لقد صدق من قال :

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى   فما انقادت الآمال إلا لصابر

المداومة على الدرس وعدم اليأس

كان تلميذ فى المدرسة يقرأ فى دروسه كثيرا ، ولكنه لم يحفظها فسئمت نفسه من القراءة وعزم على ترك المدرسة . وبينما هو واقف ذات

يوم على شاطئ نهر يفكر فى أمره وقع نظره على طفل يريد أن يتعلم السباحة . فرآه فى المرة الأولى قطع جزءا صغيرا . ثم عاد إلى الشاطئ وبعد أن استراح قطع جزءا أكبر منه واستمر هكذا يزيد شيئا فشيئا حتى اجتاز النهر بأجمعه فى المرة الأخيرة . فاتّعظ به . وقال لنفسه : إن هذا الطفل أمكنه أن يتمم مقصده بمداومته على السباحة فكيف بك وأنت أعقل منه . وعلم أنه مخطئ فى رأيه وعاد إلى المدرسة وأتمّ دراسته ونجح نجاحا باهرا . وفهم معنى المثل :

من صبر وتأنّى ، نال ماتمنى . وقول الشاعر :

وقلّ من جدّ فى أمر يحاوله ... واستصحب الصبر إلا فاز بالظَّفَرِ

المرء بعلومه ومعارفه ، لا بشكله وملبسه

كان فلاح بسيط مشتغلا بالعلوم والمعارف قصير القامة لابسا حذاء طويلا وعمامة كبيرة وبيده عصا غليظة تقدم للامتحان مع الأقران فبمجرد دخوله فى قاعة الامتحان سخر منه الطلاب ووجهوا اليه سهام النقد والعتاب . وهو لم يلتفت اليهم ؛ بل وجه التفاته ونظره الى الممتحِن وكيفية الأسئلة ولبث فى مكانه حتى جاء دوره .

فلما تقدم أمام حضرات الأساتذة اشرأبت له الأعناق ، وتوجهت اليه الأنظار ، والكل صاغ لما يقول .

فكان كلما وُجِّه اليه سؤالٌ أجاب عليه بكل دقة وإحكام بدون توقف أو تلعثم فى اللسان ، حتى ظهر فضله وبان علمه ، وأعجب الحاضرون بذكائه وثباته وحسن اجابته ، وكانت نتيجته أنه حازالدرجة الأولى واعترف أقرانه له بكفاءته واستعداده . وأيقنوا بأنهم أخطئوا فى حكمهم عليه بالجهل والاستهزاء . وعلموا بأنه من الواجب ألّا يحكم الانسان على أحد بظواهره ، أي بشكله وملبسه ، بل بعلومه ومعارفه، الدّالة على قيمته ودرجته ، وقيمة كل امرئٍ مايحسنه . وهذا عملا بقوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ »

مثال

عن الامام الشافعى رضى الله عنه واجتهاده فى تحصيل العلم من صغره

قال : كنت يتيما فى حجر أمى ، ولم يكن لها مال ، وكان المعلم يرضى من أمى (أجرا له) أن أخلفه اذا قام . فلما جمعت القرآن ، دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء فأحفظ الحديث أو المسألة . وكانت دارنا بمكة فى شعب الخيف وكنت فقيرا بحيث لاأملك أن أشترى القراطيس ، فكنت أكتبُ فى العظم فاذا كثر طرحته فى جرة عظيمة ما ؟

(توالى التأسيس بمعالى ابن ادريس)

يستخلص من هذه الحكاية أن العلم يرفع قدر الفقير . وأن الفخر

ليس بالغنى ، وان طالب العلم على صغره أو فقره يمكنه أن يحظى بمجالسة العلماء والعظماء ، وأن الفقر واليتم لايعوقان عن طلب العلم .

فعلى التلميذ الغنى أو الفقير أن يجتهد فى تحصيل العلم

مثال

عن احترام وتعظيم الامام الشافعى لعلمه وفضله

إن الشافعى رضى الله عنه ركب حمارا فمرّ على سوق الحذّائين (صانعى الأحذية) فسقط سوطه من يده ، فوثب غلام من الحذائين فمسح السوط بكمه وناوله إياه ، فقال الشافعى لغلامه : ادفع تلك الدنانير التى معك لهذا الفتى ، وكان عددها تسعة دنانير .

يستخلص من هذه الحكاية مقدار احترام الناس للشافعى وحبه مكافأة من خدمه ، وفى هذه المكافأة معنى الشكر للغلام الذى ناوله السوط

تقدير العلماء لقيمة العلم

لما ختم حماد ولد أبى حنيفة النعمان سورة الفاتحة أعطى المعلم خمسمائة درهم وقيل ألف درهم .

فقال له المعلم : ما صنعت حتى أرسلت الىّ هذا ؟

فأحضره أبو حنيفة واعتذر اليه وقال : لا تستحقر ما علمت ولدى والله لو كان معنا أكثر من ذلك لدفعناه اليك تعظيما للقرآن

تواضع الرشيد للعلم وتعظيمه للعلماء

يحكى أنه لما جاء هارون الرشيد الى المدينة المنورة، التى دفن بها النبى ﷺ ، وكان يعلم أن بها سيدنا مالكا رضى الله عنه ، وهو الامام العالم الكبير ، وله كتاب يسمى الموطأ يقرؤه على الناس فيتعلمون منه . فأراد الخليفة أن يتعلم عليه ، فأرسل اليه يطلب منه إحضار الكتاب ليقرأه على أمير المؤمنين .

فقال الامام مالك لرسول الخليفة : أقرئه السلام وقل له :

إن العلم يسعى اليه الناس بأنفسهم ولا يجىء هو اليهم .

ثم قام الامام مالك وتوجه إلى أمير المؤمنين ، فقال له الخليفة : كيف أرسل اليك فتخالفنى ؟

فقال له الامام مالك : إنى أريد أن أمير المؤمنين يرفع العلم ويعظمه حتى يرفع الله قدره .

فقام الخليفة ومشى مع مالك إلى منزله ليسمع منه كتابه الموطأ وأجلسه معه على المِنَصَّة .

فلما بدأ بالقراءة قال مالك رضى الله عنه لهارون الرشيد : يا أمير

المؤمنين أدركت أهل العلم ببلدنا وانهم ليحبون التواضع للعلم .

فنزل الرشيد عن المنصة فجلس بين يديه .

طلب العلم قد يفضل العبادة

والمجتهد فى تحصيل العلم ينفع الناس أكثر من العابد

كان الامام أحمد بن حنبل يعظم الامام الشافعىّ رضى الله عنهما ويذكره كثيرا ويثنى عليه لعلمه وفضله ، وكانت له ابنة صالحة تقوم الليل ، وتصوم النهار ، وتحب أخبار الصالحين الأخيار ، وتودّ أن ترى الشافعىّ لتعظيم أبيها له ، فاتفق مبيت الامام الشافعى عند أحمد رضى الله عنهما فى وقت . ففرحت البنت بذلك طمعاً فى أن ترى أفعاله ، وتسمع مقاله . فلما كان الليل ، قام الامام أحمد الى وظيفة صلاته وذكره ، والامام الشافعى رضى الله عنه مستلق على ظهره ، والبنت ترقبه الى الفجر .

فقالت لأبيها : رأيتك تعظم الامام الشافعى ، ومارأيت له فى هذه الليلة لاصلاة ولا ذكرا ولا وردا .

فبينما هما فى الحديث اذ قام الشافعى فقال له أحمد : كيف كانت ليلتك ؟ فقال : مارأيت ليلة أطيب منها ولا أبرك ولا أربح .

فقال : كيف ذلك ؟

قال : لانى رتبت فى هذه الليلة مائة مسألة وأنا مستلق على ظهرى كلها فى منافع المسلمين ، ثم ودّعه ومضى

فقال أحمد بن حنبل لابنته : هذا الذى عمله الليلة وهو نائم أفضل مما عملته وأنا قائم . (نور الابصار)

قال أحمد بن حنبل رضى الله عنه : ماصليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعى فقال له ابنه : يأبت ، أى رجل كان الشافعى حتى تدعو له كل هذا الدعاء ؟

فقال الامام أحمد : يابنىّ ، كان الشافعى كالشمس للدنيا ، والعافية للناس ، فانظر يابنى هل من هذين خلف ؟ (الروض الفائق)

يستنتج من هذه الحكاية أن طلب العلم قد يفضل العبادة ، وأن المجتهد فى تحصيل العلم ينفع الناس أكثر من العابد . وان الامام الشافعى كان عظيم القدر لعلمه . وأن فائدته كانت كالشمس للدنيا والعافية للناس .

العلم النافع أمان من الفقر

قال صاحب الفرج بعد الشدة (أبو على المُحَسِّن) .

حدثنى أبى . قال : بلغنى من غير واحد أن أبا يوسف (قاضى القضاة) صحب أبا حنيفة على فقر شديد . وكان ينقطع بملازمته عن طلب المعاش ،

فيعود الى منزله على جَهْد . وكانت أمه تحتال فيما يقتاتون به يوما بيوم . فلما طال ذلك عليهم خرج الى المجلس يوماً فأقام فيه وعاد ليلاً وطلب ما يأكل . فجاءته بغضارة (صحفة من الطين الحرّة) مغطاة ، فكشفها ، فاذافيها دفاتر . فقال : ماهذا ؟ قالت : ماأنت مشغول به نهارك أجمع . فكل منه ليلاً . فبكى ، وبات جائعاً وتأخر من غد عن المجلس ، حتى احتال فيما أكلوه .

فلما جاء إلى أبي حنيفة سأله عن سبب تأخره ، فَصَدقه فقال : هلا عَرَّفتني فكنتُ أمُدّك ، ولا يجب أن تغتم فانه ان طال عمرك فستأكل بالفقه الْلَوْزَيْنَجْ (نوع من الحلواء شبه القطائف يُؤدم بِدُهن اللوز) بالفستق المقشر

قال أبو يوسف : فلما خدمت الرشيد واختصصت به قُدّم بحضرته يوما لَوْزَيْنَجٌ بفُستق مقشر فدعاني اليها ، فحين أكلت منها ذكرت أباحنيفة فبكيت وحمدت الله تعالى فسألني الرشيد عن السبب فأخبرته .

(نزهة القارئ)

حكايات وأمثال

فى ضرورة العمل وفضله

١ – لنضرب لكم مثلا بسيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه وهو :

أنه لما صار خليفة المسلمين أصبح ذاهبا إلى السوق وعلى عنقه أثواب يتجر فيها . فلقيه سيدنا عمر وأبو عبيدة فقالا له :

إلى أين تريد ياخليفة رسول الله ﷺ . فقال لهما :

إنى ذاهب إلى السوق . قالا له : فماذا تصنع وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال : فمن أين أطعم عيالى ؟ .

فانظروا رحمكم الله إلى سيدنا أبى بكر مع كونه كان خليفة المسلمين لم يتكبر على العمل . وأراد أن يذهب إلى السوق يتجر فى الثياب لعلمه أنه لابد للانسان من عمل يعمله ليكسب منه قوت يومه .

٢ – ونضرب لكم مثلا ثانيا بسيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه :

حكى سيدنا على عن نفسه قال : جعت بالمدينة جوعا شديدا . فخرجت أطلب العمل فى عوالى المدينة (موضع قريب من المدينة) فاذا أنا بامرأة قد جمعت مدرا (حصى) فظننتها تريد بَلّه لتصنع منه طينا هى فى حاجة اليه . فجئتها وأعطيتها كل دلو بتمرة فمددت ستة عشر ذنوبا (أى دلوا له ذنب) حتى مجلت يدى (أى يبست) ثم جئتها فقلت بكتا

يدى هكذا بين يديها (و بسط يديه جميعا) فعدت لى ستة عشرة تمرة . فجئت النبي ﷺ فأخبرته فأكل معى وقال لى خيرا ، ودعا لى

فانظر كيف تواضع سيدنا على حتى اشتغل للمرأة بالأجر وكيف خدمها ولم يعتمد على أحد فى الحصول على التمر منها وكيف اشترك معه النبي ﷺ فى أكل التمر ، لأنه مال حلال .

فيستخلص من ذلك أن الانسان ينبغى له ألا يأكل إلا من عرَق جبينه ، وألا يستحى من عمل يستفيد منه أجراً وأن يجتهد فى العمل للحصول على نفقاته .

٣ - ولنضرب لكم مثلا ثالثا بالسيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ فانها كانت تشتغل بنفسها . وذلك أنها كانت تطحن الحبّ بنفسها على الجاروشه (الرحا) كما كانت العرب فى أيامها يفعلون .

وفى يوم جلست تطحن فسال الدم من أصابعها فشكت ذلك إلى زوجها الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال لها : قولى لأبيك يحضر لك خادمة . فذهبت إلى النبي ﷺ وقالت له : يارسول الله إنى مفتقرة إلى خادمة تعيننى على أشغالى ، وتساعدنى فى أعمالى . فنصح لها النبي ﷺ بأن تعمل كل أعمالها بنفسها . وعلمها دعاء كان يزيل عنها تعب العمل وقال لها قولى :

سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ثلاث مرات

وعاشت بدون خادمة .

العمل خير من الشحاذة

شكا رجل إلى النبى ﷺ شدة الفقر فقال له : أما عندك شىء ؟

قال : لا . فأعطاه درهمين وقال له : اذهب فاشتر بأحدهما طعاما ، وبالآخر فأسا واحتطب وبع

فغاب الرجل خمسة عشر يوما ثم أتى فقال : بارك الله فيما أمرتنى به . بها كتسبت عشرة دراهم ، فاشتريت لأهلى بخمسة طعاما ، وبخمسة كسوة . فقال ﷺ : هذا خير لك من المسألة (الشحاذة) .

الحقير من الأعمال

أفضـل من ذل السؤال

قال أحد العلماء : مررت بفقير ، فسألنى صدقة ، فأعطيته قرشا . وفى هذا الوقت مرّ بنا رجل طاعن فى السن ، فلما رآنى أنقد الفقير القرش ، دنا منا وقال للمتسول :

لمَ تتعاطى هذه الحرفة الدنيئة ، وتصبر على ذل السؤال ، ولا ربح لك من ذلك ؟

فان شئت أدلك على طريقة لك بها الغنى ، فلا يمضى عليك زمن حتى

يبلغ دخلك ألف جنيه سنويا ؟ فاستغربنا هذا الحديث ، وحسبناه ضربا من الهذيان ، فضحك الفقير ، ولم أتمالك نفسى من الضحك أيضا . فقال الرجل : تضحكان لأنكما تستغربان كلامى . فمتى وقفتما على حقيقة أمرى ثبت لكما أنى لم أبالغ فيما قلت ، فاننى كنت فقيرا لا أملك ماأسد به رمقى ، فعوضا عن أن أقف بالأبواب والطرق، ذليلا متسولا ، أنتظر رحمة المارين ، وأصبر على احتقارهم لى ، وطنت نفسى على العمل فى طلب الرزق من أبوابه المشروعة ، فأخذت أدور فى الأزقة والأسواق أجمع الخرق القديمة وأبيعها ،وأتعيش باقتصاد من ثمنها ، وأدخر ماتيسر .

وما زلت على هذه الحال ، من الجد والمثابرة ، حتى تمكنت من توسيع نطاق عملى ، واتخذت لى فيه أعوانا ؛ وما مضى على خمسة أعوام حتى صرت شريكا لتاجر من تجار الورق .

وهكذا أخذت أرقى معارج النجاح ، والنشاط أليفى ، والاجتهاد حليفى ، حتى أصبحت من أكابر الأغنياء ، كل ذلك بفضل العمل .

قال الرجل هذا ومضى فى سبيله ، وبقى المتسول فى مكانه ، واجماً مفكراً ، وانصرفت أنا فى وجهتى. مضى على هذا الحادث عشرة أعوام ولم أعد أفكر فيه ، حتى طوحت بى الأسفار الى جهة بعيدة ، وأدتنى الصدفة إلى إحدى المكاتب فيها لمشترى بعض الكتب ، فلما دخلت

فى المكتبة ووقعت عينى على صاحبها داخلنى الشك فى أنه الرجل الفقير المتسول .

فتأملت الرجل ، وتأملنى هو أيضا ، فعرفته فى الحال وعرفنى ، وما كان إلا هو . فكان فرحنا باللقاء عظيما ، ولقد سرنى ماوجدته عليه من حسن الحال ، بعد ذل السؤال . ولما سألته كيف وصل إلى ذلك ؟ أخبرنى أن كلام الرجل أثر فيه ، ووقع من نفسه موقعا جليلا ، فعدل من ذلك اليوم عن حرفة التسول الى طريق العمل ، فاقترنت مساعيه بالتوفيق والنجاح ، وتمكن بجده واجتهاده من جمع المال . فاشترى هذه المكتبة وهو يعيش فى أحسن حال ، وأنعم بال ، وذلك كله بفضل الجد فى الأعمال .

العمل كنز

حكى أنه كان لرجل حديقة يشتغل فيها هو وأولاده ؛ فلما قربت منيته جمع أولاده وقال لهم : ان فى حديقتنا هذه كنز عظيم ، وسأموت تارككم وشأنكم . فابحثوا عنه يا أولادى لعلكم تعثروا عليه ، وتهتدوا اليه ، واذا وجدتموه فانكم من السعداء . فثابر الأولاد على العمل بعد موت أبيهم بجد ونشاط . وأخذوا يقلبون أرض الحديقة ظهراً لبطن فتحسن الزرع

عما كان قبلا ، ونما المحصول ، ولكنهم لم يجدوا الكنز الذى يبحثون عنه ، ففطن ذكى منهم وقال :

إن أبانا لم يرد بالكنز مالاً ، بل أراد أننا بحفرنا فى الأرض نصلح التربة ، ويحسن الزرع ، ويزيد المحصول ، ولا يكون ذلك الا بالجد فى العمل . فالعمل فى الحقيقة هو الكنز الذى نبحث عنه

ففطنوا كلهم كلام أبيهم وترحموا عليه وكتبوا على باب الحديقة : العمل كنز .

ليعمل كل انسان لفائدة الكل

يحكى أن كسرى آنوشروان ملك الفرس مرّ على شيخ وهو يغرس شجر الزيتون . فوقف الملك برهة ففكّر فيما عساه أن يدور بخلد ذلك الرجل الهَرِم .

وليس من المحتمل أن يعيش حتى يأكل من ثمر مايغرس فقال : أيها الشيخ ، ليس هذا أوان غرس الزيتون لأنه شجر بطىء النماء والإثمار ، وأنت شيخ هرم .

فقال الشيخ : أيها الملك ، قد غرس مَن قَبْلَنا فأكلنا ، ونغرس ليأكل مَن بَعدَنا .

فقال كسرى : زِهْ « وكان فى عرفهم ، اذا قالها الملك لانسان أجيز ذلك الانسان بقدر معين من الفضة » فدفع ذلك القدر إلى الشيخ على الفور .

فقال : أيها الملك ، كيف رأيت غرسى ؟ . فما أسرع ما أثمر ، فقال الملك : زِهْ . مرة ثانية فأعطى الشيخ جائزة أخرى ، فقال الشيخ : أيها الملك : كل شجرة تثمر فى العام مرة ، وشجرى أثمر فى لحظة مرتين .

فقال الملك : زِهْ . فأُجيز الشيخ ثالثة .

ثم مضى كسرى وقال لأصحابه : انصرفوا فلئن وقفنا لم يكف الشيخ مافى خزائننا

وقد كان الشيخ فى عمله مثالاً لما ينبغى أن يكون كل إنسان فى عمله حتى يعمل الكل لفائدة الكل . وبدون ذلك لاينتظم للمجموع الانسانى أمر ، ولا يخطو الكون خطوة فى سبيل الرُقِىّ .

« القراءة الرشيدة »

حلاوة الكسب

أدخل رجل ابنه فى مصنع ، وفرض عليه أن يقدم اليه أجرة عمله فى مساء كل يوم ؛ وكان للولد أم جاهلة ، ترى ألّا يشتغل فلا يتعب .

وكان الولد يقضي نهـاره فى اللعب والبطالة . ومتى جاء المساء عاد إلى البيت فتعطيه أمه أجره ليقدمه إلى أبيـه . فيأخذ الرجل هـذه الدراهم ويوهم الولد أنه يلقيها من النافذة . ولـكن يودعها صندوقا أعدَّه لجمعها . ولما طال الحال بتلك الأم الجاهلة ونفد مالهـا قالت لابنها : إذهب واشتغل اليوم ، فقد نفد كل مالى . فذهب الولد واشتغل طول النهار ، وعاد بأجره وقدمه إلى أبيه . فأخذ الرجل الدراهم ، وهمَّ برميها من النافذة كما كان يفعل ، فصرخ الولد قائلاً : لاتفعل يا أبى ، فانى كسبتها اليوم بعرق جبينى ، ولا يهون علىَّ ضياعها .

فقال له والده : حقاً ياولدى لايعرف قيمة المـال إلا من تعب فى الحصول عليه ، وذاق حلاوة الـكسب ! وأنشد يقول :

ليس الحياة بأنفـاس نرددها إن الحياة حياة الفـكر والعمل

لا كبير على العمل

يحكى أن الدوق (أوف ادنبر وغ) ابن الملـكة فيكتوريا ، وشقيق ملك الانجليز (ادوارد السابع) دخـل مركباً من المراكب الحربية ليدرس الفنون البحرية ، فكان يعامل معاملة اخوانه سواء بسواء ، وكان ينقل الفحم وينظف المركب . وحدث أن المركب زارت ثغرا فى أفريقيا الشرقية ، وسمع عميد القبيلة المقيمة عند ذلك الثغر أن أحد أعضاء العائلة

المالكة فى تلك المركب ، فجمع كبار قومه ، وتوجهوا لتقديم فرائض الطاعة

فقابلهم الربان ، ورحب بهم وسألهم عما يريدون ؟

فقالوا : بلغنا أن ابن الملكة فيكتوريا هنا ، فجئنا للتشرف بالمثول بين يديه اذا سمح . فأمر الربان أحد رجاله أن ينادى (الدوق) فجاء وسلم على الرجال ، ووقف أمام الربان ، بأدب واحترام

فظن أصحابنا أن الربان يسخر منهم ؛ لأنهم رأوا الرجل الواقف أمامهم لايمتاز عن رجال المركب فى شىء ؛ ولكن الربان أقنعهم بأن ابن جلالة الملكة هو الواقف أمامهم ، وأنه لا كبير على العمل

فصدقوه ثم عادوا من حيث أتوا معجبين مما شاهدوا ولسان حالهم يقول :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

الرجال بالأعمال

يروى عن المستر (نسمث) مخترع المطرقة البخارية ، أنه وهو صغير ، كان يأتى إلى معمل أبيه عصر كل يوم السبت ، بعد المدرسة ، ويتمرن على استعمال الآلات المختلفه ، ويضع بعض الأدوات البسيطة ،

وتدرج من ذلك الى عمـل الآلات المركبة ، التى كان يقرأ عنها فى الـكتب ، ثم صنع كثيرا من الآلات البخارية ، وكان يبيعها للمدارس . ولما بلغ من العمر عشرين سنة شرع فى السعى على العيش بنفسه ، فأتى إلى رجل صاحب معمل كبير إسمه (مودسلى) وطلب الدخول فى خدمته قانعاً بمـا يقدره له من الأجرة قائلاً : ان مايقدر أن يعيش به غـيرى من الصناع أقدر أن أعيش به أنا أيضا ، حتى انه كان يهيئ طعامه بيـده ، وصنع لذلك آلة للطبخ لاتحتاج وقودا كثيرا . وعاش ولم يحتج لدرهم من أبيه .

وفى السنة التاليـة ، جعلت أجرته ٧٥ غرشا فى الأسبوع ، فجعل يقتصد فى نفقاته ، ويشترى بما يزيد من أجرته آلات ليستقل بالعمل يوماً ما ، وكان يزداد مهارة يوما فيوما ، وتزيد قدمه رسوخا فى علمه ، ومقامه فى المعمل ، نظرا لاجتهاده وأمانته ؛ ولم تمض عليه ثلاث سنوات فى ذلك المعمل ، حتى كان قد اشـترى آلاتاً تـكفيه ليعمل وحده ، فاستأجر دكانا ، وجعل يعمل فيــه وهو ينفق كل مازاد عن حاجاته الضرورية فى ابتياع الآلات والأدوات ، وأقام على ذلك سنتين ، ثم انتقـل إلى معمل كبير ؛ وما زالت أشغاله تتسع ، حتى صار له من العمر ٤٨ سنة وبلغت ثروته حينئذ مبلغاً وافراً جداً ، فاعتزل الأعمال التجارية المتعبة ، ووجـه أنظاره إلى أمور أسمى منها ، عـدّها راحة

وفـكاهة ، فتعلق بعـلم الفلك ، وصنع نظارات عظيمة فلـكية ليرصد بها الشمس وصور القمر والنجوم ؛ وله فى ذلك اكتشافات جليلة لخدم العلم فى شيخوخته ، كما خدم الصناعة والتجارة فى شبيبته ، وأبان أن الحياة عمل وراحة ، والعمل يجب أن يتقدم الراحة . وهكذا الرجال بالأعمال .

وسُئل مرة : عن حكمة تؤثر عنـه . فقال : الواجبات أولا ، ثم المسرات ؛ ثم قال : وأكثر مانراه من خيبة الناس وفشلهم ، ناتج عن ضد ذلك . فأنهم يقدمون المسرات على الواجبات .

مكافأة الرجل العامل

يحكى أن (فريدريك) ملك بروسيا امتطى جواده يوما وخرج للتنزه فرأى فلاحا يحرث الأرض ، وهو مسرور بعمله ، يترنم طرباً ، ويحرث مجتهداً . فوقف به الملك وقال له : أيهـا الشيخ ، أراك مسروراً باذلا الجهـد فى العمل ، فهل هـذه الأرض التى تتعب فيها كل هذا التعب هى لك ؟

فأجابه الفلاح ــ ولم يعلم أن الذى يخاطبه الملك ــ لا يامولاى ؛ إنما أعمل بالأجرة فلست من الفلاحين الأغنياء .

قال الملك : وكَم لكَ من الأجرة على هذا العمل ؟

أجاب الفلاح : عشرة قروش كل يوم .

قال الملك : تلك أجرة قليلة فهل تـكفيك أيها الشيخ المسكين ؟

أجاب الفلاح : نعم تـكفيني ، وتزيد على ما أحتاج اليه .

قال الملك : وكيف ذلك ؟

أجاب الفلاح : أنفق منها أربعـة قروش عليّ وعلى امرأتي ، وأدفع قرشين لبعض دين قديم عليّ ، وأقرض منها قرشين ، وأنفق القرشين الباقين في سبيل الله .

فقال الملك : ذلك سرٌّ لا يمكنني معرفته .

قال الفلاح : الأمر بسيط ، أبينه لك يامولاي . وهو أن لي في البيت شريكان . كانا يعنيان بي حينما كنت صغيرا ، وضعيفاً محتاجا ، وهما الآن شيخان ضعيفان . فابتهج بأن أعني بهما ايفاء للدين الذي لهما عليّ ، فأوفيهما كل يوم قرشين ، نفقة لهما ، وهما والديّ . وأنفق أربعة قروش عليّ وعلى امرأتي ، وعلى أولادي قرشين . وهذا هو القرض الذي أقرضه لأنهم متى كبروا وعاشوا إلى أن أعجز أنا ووالدتهم عن العمل يوفونا ذلك الدين بعنايتهم لنا . وأنفق قرشين على أختين لي لاتقدران على العمل ، وهذا ما أنفقه في سبيل الله .

فقال الملك : لقد أحسنت صنعاً أيها الرجل . إني أريد أن أسألك : هل رأيتني قبل الآن ؟

أجاب الفلاح : لاياسيدى

قال الملك : إنك ستراني فى خمس دقائق خمسين مرة ، وتحمل دراهم فيها خمسون صورة من صورى

قال الفلاح مدهوشاً : هـذه مسئلة لا أستطيع حلّها

قال الملك : انى أحلّها لك ، ومدّ يده فى جيبه ، وأعطاه خمسين ليرة ، على كل منها صورة الملك وقال له : هـذه الليرات جاءت من فضل ربى ، وأنا عبـده أمرنى أن أعطيك إياها ، مكافأة لك على اجتهادك ، وقيامك بالواجب نحو نفسك وأسرتك

فشكَرله الفلاح حسن عطائه ، وانصرف مبتهجاً بأعماله ، مسروراً بما ناله .

العاقل من اعتمد على نفسه

أرسل أحـد التجار الأغنياء ولده فى تجارة ليعوّده على الأسفار ، واقتحام الأخطار ؛ فرأى فى طريقـه ثعلبا طريحاً يتلوّى من الجوع فقال : من أين يتغذى هذا المسكين ؟ وإذا بأسد أقبل يحمل فريسته ، فانزوى الولد وهو يرتعد ؛ ثم راقب الأسد حتى أكل فريسته وترك منها بقية ، لاخير فيها ومضى . فقام الثعلب ، وأكل من فُضالة الأسد ، والولد يعجب من صنع الله فى خلقه ، وما ساقه إلى هذا الحيوان العاجز

من الرزق وقال فى نفسه : إذا كان المولى سبحانه وتعالى قد تكفل لخلقه بالأرزاق ، فلأى شيء احتمال المشاق ، وركوب البحار ، واقتحام الأخطار ، ثم انثنى راجعاً إلى والده وأخبره بما رآه وأنه بسببه قد عدل عن السفر

فقال له أبوه : يابنى لقد أخطأت النظر ؛ فانما أردت أن تكون أسداً يأكل من فضلاتك الضعاف الجياع لا أن تكون ثعلباً جائعاً . تنتظر قوتك من فضلات غيرك

فقبل الولد نصيحة والده وعاد إلى ما كان فيه ، وعلم أن رجل الحزم والعزم ، هو من يعتمد على نفسه ، لا على أبناء جنسه . وقال :

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه   فكن طالباً فى الناس أعلى المراتب

مثال آخر

دخل عَمرو بن سعيد على معاوية بعد موت أبيه ، وعَمرو يومئذ غلام ، فقال له معاوية : إلى من أوصى بك أبوك ياعَمرو ؟

قال : إن أبى أوصى إلىّ ولم يُوص بى

قال : وبأى شيء أوصاك ؟

قال : أوصانى أن لايفقد منه إلا شخصه

فقال معاوية لأصحابه : ان ابن سعيد هذا سيكون نعم الخلف لأبيه

المداومة على العمل، تبلغ غاية الأمل

جلس حكيم يرشد أولاده فى بعض الليالى ، و يبين لهم أن المداومة على الأعمال ، ترفع أصحابهـا إلى أعلى درجات الـكمال ، وأن الموانع لاتقف فى طريق الرجـل الصبور ، وأيد دعواه بحادثة جـديرة بأن يُعنى بها

قال : كان فى غابر الأزمان ، رجـل يطوف فى البـلاد ومعه ثور ضخم ، يحمله على كاهله فى الأعياد والمواسم ، ويمشى به بين الجماهير من الناس ، يريهم قوته ثم يضعه ، ويمدّ يده إلى من يُمِدُّه بهبة تعينه على المعيشة . فقال له بعض الحاضرين : كيف وصلت إلى هـذه الدرجة المدهشة من القوة ؟

قال : إنى كنت أحمل هذا الثور على كتفى ، مذ كان عجلا صغيرا ، وأدور به فى فناء دارى جملة ساعات كل يوم ، فـكان كلما ازداد ثقلا ، ازددت قوة بكثرة هذه التمرينات التدريجية ، حتى أصبحت لاأعجز مع ضخامته المفرطة عن حمله .

عقاب الرجل الكسلان ، الفقر والحرمان

كان أحـد الفلاحين مهملا زراعة أرضـه ، حتى أصبحت مغطاة بالشوك ، والدغل ، والأملاح .

ففي يوم من أيام الحصاد ، وكان الحر شديداً ، اضطجع الفلاح المتكاسل تحت ظل شجرة ، فمر به فلاح نشيط ، يسوق عجـلة محملة قمحاً وقرأه السلام ، فنظر الفلاح المتكاسل إلى العجلة بعين الحسد ، ولم يرد عليه السلام؛ فوقف الفلاح النشيط وقال له : ان شئت أن تتعب قليلاً لفلاحة أرضك البور ، وأن تحرث منها كل يوم مسافة بقـدر ما تغطيه جثتك المطروحة على الأرض ، فيمكنك بعـد سنة أن تحصد منها على الأقل مقدار هذه الأكياس التي تراها على العجلة

فاستصوب الفلاح الكسلان هذا الرأى السديد ، وشرع من وقته في قطع الشوك والعلّيق ، وعزق أرضه وحرثها

وبهذه الوسيلة اقتنى لنفسه حقـلاً لم يكافه بارة واحدة وآتاه من فضل الله بقوته وقوت عياله فقال :

حقاً إن الفقر يحيق دائما بالكسلان

عاقبة الإهمال ، خسران ووبال

ركب فلاح فرسه وانطلق الى المدينة ، وقبل أن يركب رأى أن احدى النعال ينقصها مسمار فقال : لا بأس ، مسمار زائد أو ناقص لا يؤثر شيئا

فبينما هو في الطريق سقط نعل الفرس فقال : لو كان هنا بيطار لأعاد النعل إلى رجل الفرس؛ ولكن لا بأس يمشى جيدا بالثلاث النعال الباقية له

وبعد أن سار قليلا بدأ الفرس يعرج وتعطلت حركته ؛ وفى أثناء ذلك خرج عليه اثنان من قطاع الطريق . كانا فى غابة كثيفة ، فلم يمكنه الهرب بسرعة وأدركه اللصان وسلبا منه فرسه وماله . فاضطر أن يرجع الى بيته ماشيا وقال وهو كئيب : ما كنت أظن مطلقا أن فقد مسمار واحد فى نعل الفرس يكون سببا لخسارة الفرس وما يحمله

وحقاً ، ان عاقبة الاهمال ، خسران ووبال .

ليست السعادة فى جمع المال ، بل فى القيام بالأعمال

أخان شقيقان سافرا الى جهة بعيدة طلباً للرزق . فأخذ أحدهما قطعة أرض بور ففلحها وزرعها بجد ونشاط حتى صارت حقلاً خصباً مملوءاً بالغلال ، وعاش فى أمن وراحة بال؛ أما الثانى، وكان أطمع من أخيه ،

فتوجه الى الجبال حيث يوجد التبر (الذهب) قاصدا أن يبحث وينقُب عن هذا المعدن الثمين ، وعاش هناك عيشة شقاء ، ولم يكن هناك ما يقتات به سوى قشور الأشجار ، ولكن عاد أخيرا الى أخيه ومعه كيس مملوء ذهبا ، فقال لأخيه : انظر ياأخى ، ما أحسن هذا المال الذى أصبته ، وما أسعدنى الآن ؛ ولكن أرجوك أن تعطينى حالا طعاما لآكل ، فقد أضنانى التعب والجوع

فأجابه أخوه : انى بكل ارتياح أقدم لك ما تريد بشرط أن تعطينى ثمن كل رغيف ثقله ذهباً . فالتزم أخوه قبول ذلك وان كان شاقا عليه .

و بعد زمن يسير استولى الأخ على مال أخيه ، وقال له : ياأخى العزيز أرد اليك مالكَ، وانى لم أقصد أن أتملكه منك ، رغما عنك؛ بل أردت أن أبين لك ، أن السعادة ليست فى جمع المال ، بل فى القيام بالأعمال ، وأن حب العمل يجلب الخيرات واللذات ، أكثر مما يجلبه الذهب ، وأن من يعيش من عمل يديه ، يستغنى عن الذهب والكنوز .

حكايات وأمثال فى فضل الادب

أدب المرء خير من نسبه

يحكى أن صبياً تكلم بين يدى الخليفة المأمون فأحسن

فقال له المأمون : ابن من أنت ؟

فقال الصبى : ابن الأدب ، يا أمير المؤمنين

فقال المأمون : نعم النسب يابنيّ . وأنشد قول الامام علىّ :

كن ابن من شئت واكتسب أدباً   يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول هاأنذا   ليس الفتى من يقول كان أبى

ادب المرء خير من ذهبه

أحمد — ماهذا الخاتم الذى فى أصبعك ياعلى ؟

على — هذا خاتم من الذهب الجيد ، وفصه من الماس الثمين

أحمد — أراك يا أخى معجباً به ، مفاخراً بزينته

على — نعم فانه زينة فى اليد ، ومظهر من مظاهر الغنى والثروة

أحمد — أى زينــة هو ؟ اذا لم يزن المرء خلقه وأدبه . فقيمة المرء بأدبه ، لا بزينته وذهبه

علي — نعم ، ولكن الناس فى هذه الأيام يتسابقون فى اقتناء الحلى والحلل ، ويتنافسون فى جمع الأموال ؛ وما ذلك الا لشرفها ، ورفعة قدرها ، وشدة إعجابهم بها

أحمد — اعلم يا أخى : أن الرجل لا يزين ظاهره للناس بالذهب والفضة والأحجار الكريمة ، الا لنقص يجده فى نفسه ، أو مدارة لعيب فى جسمه ، وهو والنساء فى هذه الزينة سواء ؛ على أنه لو حلى نفسه بالفضائل ، وزينها بجواهر العلم والتقوى ، لكان موضع الاجلال والتعظيم من جميع الأنام

علي — ما أجمل عظتك ، وأنفس نصيحتك ، وسأعمل بها ان شاء الله وأخلع عنى هذا الاعجاب ، وأسير فى طريق الصواب

أحمد — أحمدُ ربى الذى هداك وأرشدك للصواب ، وأبان لك أن الزينة الحقيقية ، هى زينة العلم والآداب ، لا زينة الذهب والثياب والخاتم النفيس ، هو خاتم الفضيلة والكمال

المرء بآدابه ، لا بزيّه وثيابه

دخل رجل يوما على الاسكندر وكان رث الهيئة فتكلم فأحسن وسُئل فأصاب الجواب

فقال له الاسكندر : لو أعطيت جسمك حقه من الزينة كما أعطيت

نفسك حقها من العلم والأدب لأشبه بعضك بعضا

فقال له الرجل : أيها الملك ؛ أما الكلام فأقدر عليه ، فانى مالكه ، وأما الزينة فلا أقدر عليها لأنى لا أملكها

فعلم أنه محتاج وخلع عليه خلعة ثمينة جزاء أدبه، وأحسن اليه، وقرّبه لديه ، فأنشد الرجل :

لا تنظرنّ لأثواب على أحد ان رمت تعرفه فانظر الى الأدب

فالعود لو لم تفح منه روائحه لم يفرق الناس بين العود والحطب

الأدب فوق كل كبير

يحكى أن الملك (لويس الخامس عشر ملك فرنسا) وهو صغير كان خارجاً مع مؤدبه ، وكان على باب القصر أحد مساحى الأحذية ، فرفع قبعته إجلالا للملك . فرد المؤدب على ذلك المسكين السلام ، وترك يد تلميذه

فقال له الملك : كيف ترد السلام على خادم وأنت مؤدبى ؟

فأجاب المؤدب : يا مولاى إن أحبّ شىء الىّ أن أرد على هذا الخادم تحيته حتى لا يقال : إن خادما أكثر منى أدبا ؛ والأدب فوق كل كبير

أدب الأنبياء

يحكى أن سيدنا ابراهيم عليه السّلام كان جالسا بين أصحاب له فجاء خنزير ووقف أمامهم

فقال له سيدنا ابراهيم : اذهب بسلام

فقال له أصدقاؤه : لِمَ لم تذكر اسمه يا نبيّ الله ؟

فقال عليه السلام : أخاف أن ينطلِقَ اسمُه على لسانى فأُخاطِبَ به غيرَه من الآدميين فيُبْغِضونى

فانظروا رحمكم الله كيف كان خليل الله يعلم أصحابه الأدب ، ويحذرهم التكلم بالألفاظ البذيئة التى يعافها كل ذى طبع سليم ؛ وخلق كريم

ادب الخلفاء

أدب سيدنا أبى بكر الصّديق رضى الله عنه

عن أنس قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد قد أطاف به أصحابه ؛ إذ أقبل علىّ بن أبى طالب ، فوقف فسلم ، ثم نظر مجلسا يشبهه . فنظر رسول الله ﷺ فى وجوه أصحابه أيهم يوسع له ؛ فكان أبو بكر جالسا على يمين النبى ﷺ فتزحزح له عن مجلس وقال : هاهنا يا أبا الحسن

فجلس بين رسول الله ﷺ وبين أبى بكر

قال أنس : فرأيت السرور فى وجه رسول الله ﷺ ، من أبى بكر فقال يا أبا بكر . إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل

(محاسن الآثار للمحب الطبرى)

أدب سيدنا الحسن وظرفه

(الحسن بن سيدنا على ابن عم النبى ﷺ)

جاءت جرية للحسن تحييه بشىء من الريحان فقال لها : أنتِ حرّة لوجه الله تعالى

فقيل له : جاءتك جارية بريحان فأعتقتها

فقال : قال الله تعالى . « وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا » (نزهة المجالس)

مراعاة الادب وحسن الارشاد

كان سيدنا الحسن ، وسيدنا الحسين رضى الله عنهما ، على جانب عظيم من الأدب ؛ وحسن الذوق ، بدليل أنهما كانا سائرين فى الطريق فمرّا على رجل ، يتوضأ ولكنه لم يحسن الوضوء ؛ لأنه لم يغسل وجهه تماما ولم

يحسن غسل يديه كلتيهما ، وترك بعض رجليه بدون غسل ؛ فلما رأى الحسن والحسين ذلك من الرجل أرادا إرشاده الى خطئه فى الوضوء وكان الرجل أكبر منهما سنا فخافا اذا هما قالا له : أعد الوضوء ، أو ان وضوءك غير صحيح ، أو أنت لاتعرف الوضوء ، أن يخجل الرجل ويغضب من كلامهما . ففكرا فى حيلة يعملانها لارشاده بدون أن يحصل له أدنى خجل فى ذلك . فتقدم اليه أحدهما وقال له : أيها الشيخ الكبير ؛ إن أخى هذا يظن أنه يحسن الوضوء أكثر منى فنسألك أن تنظر الى كل منا وهو يتوضأ ثم تشهد لمن يحسن الوضوء منا . فتوضأ كل منهما والرجل ينظر اليهما ، فرأى أن كل واحد منهما يحسن الوضوء جيداً ، وفهم أنه هو الذى لا يحسن الوضوء .

فقال لهما : انى أشكر لكما حسن ارشادكما ، وكمال أدبكما ، وأعترف بانى أنا الذى لا أحسن الوضوء ، وقد تعلمت منكما الآن كيف أتوضأ وهأنذا أعيد الوضوء أمامكما . « الدروس التهذيبية »

أدب الملوك

١ — كان بعض الأمراء واقفا ذات يوم فى الطريق يكلم تاجرا من وجهاء التجار ، فمر بهما عبد أسود وحيّ الأمير ، فردّ عليه التحية ، فتعجب

التاجر وقال للأمير : أتحيّي عبداً أسود يُشترى بالمال مع علو شأنك وعزة سلطانك ؟

فأجابه الأمير : كيف لا أحييه ؟ وهل يليق بى أن يكون هذا العبد أكبر منى أخلاقا، وأجل أدبا

فقال له التاجر : حقاً يا مولاى إن هذا لمن أدب الملوك

٢ — وروى أيضا عن (واشنجتون محرر أمريكا) أنه كان سائرا فى الطريق فرأى زنجياً من عمال المعادن ، فحياه هذا تحية التابع لمتبوع . فرفع واشنجتون قبعته رداً للتحية . فسأله مرافق له فى ذلك مؤاخذاً عليه هذا التنزل

قال : أفكنت ترضى أن يكون الزنجى أكثر منى أدبا ؟

٣ — ويحكى عن (المستر كونسى رئيس الولايات المتحدة) أنه كان غاية فى الأدب ، حتى مع أحط الناس فى نظر الناس ، روى عنه أنه كان راكبا عربة من عربات الأمنيبس ، وكانت مزدحمة ، فدخلت سيدة أمريكية سوداء من نسل الزنوج ، ولما لم يكن فى العربة مجلس خال قام الرئيس العظيم من مكانه وقدمه لها ، فجلست هى وبقى سيد البلاد واقفا على قدميه ما بقى من الطريق

أفلا يشعر القارئ فى نفسه باحترام هذا الرجل العظيم ؟

الملوك يكرمون الأدباء

دخل أعرابي على أبي جعفر المنصور فتكلم فأحسن فأعجبه كلامه .
فقال له المنصور : سل حاجتك

فقال الأعرابي : يبقيك الله ياأمير المؤمنين ، ويزيد في سلطانك

فقال له المنصور : سل حاجتك ، فليس في كل وقت يمكنني أن آمر لك بما تحب

فقال له الأعرابي : والله ياأمير المؤمنين مااستقصر عمرك ، ولا أخاف بخلك ، ولا أغتنم مالك، وان سؤالك لزين ، وان عطاءك شرف ، فأطال الله الأمة بقاءك ، وأحسن عنها جزاءك

فأمر المنصور بحشو فمه جواهر ، وكتبه في سجل العطاء

الملوك يجلون الادباء

تقابل هارون الرشيد مع الكسائي في بعض الطرق ، فوقف له وتحفى بالسؤال عن حاله

فقال له الكسائي : أنا بخير ياأمير المؤمنين ؛ ولو لم أجد من ثمرة الأدب إلّا ما وهب الله تعالى لي من وقوف أمير المؤمنين وسؤاله عني لكان ذلك كافياً محتسباً

كيف تكون ملكا اذا لم تتأدب وتتعلم

جاء عن ملك الانجليز « أدواردالسابع » أنه لما كان يتعلم وهو صغير ضجر ذات يوم من الدرس ، وألقى الكتاب من يمينه ، وأخذ ينظر من الشباك ؛ فقالت له مربيته : هلمّ الى درسك فحفظه

فقال : لا أريد أن أحفظ

فقالت له : احفظ حالاً ؛ وإلا أوقفتك ووجهك شطر الحائط . فضرب بيده زجاج الشباك فكسره

وقال : انى لا أحفظ ، ولا أقف ، وإياك وهذا الكلام ، ألم تعلمى أنى سأكون يوما مّا ملكا لبريطانيا العظمى ؟

فلما رأت منه ذلك أرسلت الى والده الأمير (البير) وحدثته بما جرى ، فالتفت اليه عابساً ، وقال له بشدة : كيف تكون ملكا اذا لم تتأدب وتتعلم ؟

اخضع لأمر مربيتك ، واحفظ جميع ماعليك ، حتى تتهيأ للملك فسمع كلام والده . واستمرّ فى درسه حتى رضيت عنه مربيته

أدب الأمراء

قال بعض الفقهاء : كان المأمون من أكثر الناس علماً وأحرصهم على اتباع الآداب

بتُّ عنده ليلةً فستيقظ من نومه وأراد أن يشرب ، فظنني نائما فلم يَدْعُ الغلام لئلا أنتبه ، وقام بهدوء وسكون ، حتى انتهى الى البرّادة فشرب ، وعاد الى مضجعه ، وهو يُخفي مشيه ؛ ثم أخذه سعال ، فرأيته يضع كمه على فمه ، لئلا أسمع صوته

ولما طلع الفجر أراد القيام ، وقد تناومت ، فصبر الى أن كادت تفوت الصلاة فتحركت

فقال : الله أكبر ، ونادى الغلام لينبهني

فقلت : يا أمير المؤمنين ، رأيت بعيني جميع ما كان الليلة من جميل صنعك ، فعلمت ما فضلك الله به علينا وجعلك أميرا

احترام الوزراء للعلماء

كان من عادة الوزير نظام الملك (الحسن أبوعلى الطوسى) أنه اذا دخل عليه أكابر المملكة يقوم لهم ، ثم يعود فيجلس فى محله ، وكان له مرشد اذا دخل عليه يقوم ويجلسه فى مكانه ، ويجلس هو بين يديه

فلما سُئل في ذلك قال : ان أولئك اذا دخلوا علىّ يمدحوننى بما ليس فىّ فيزيدنى كلامهم عجباً وكبرا ، وأتمادى فى المعاصى ؛ وأما هذا العالم الفاضل فيذكرنى عيوبى ، ويرشدنى الى الخير ، فتنكسر نفسى لذلك ، وأرجع عن كثير مما أنا فيه

حلية المرء الأدب

روى : أن النعمان بن المنذر ، ملك العرب ، جلس مرة وعليه حلّة بديعة مرصعة بالدر والجوهر ، فجاء اليه العرب ، وأخذوا يتحدثون بهذه الحلة إلا رجلا منهم اسمه أوس بن حارثة

فقال له النعمان : لِمَ لا تنظر مثل اخوانك إلى هذه الحلّة وتتكلم ،

فقال أوس : أسعد الله الملك ، إنما تُستحسن الحلّة اذا كانت فى يد التاجر ؛ وأما اذا كانت على الملك ، وأشرق فيها نور وجهه ، فنظرى مقصور عليه لا عليها

فاستحسن الملك عقله وأدبه ، وخلع عليه الحلّة ودعاه سيد العرب

سيد العرب

وفد حاجب بن زُرَارَة على أنو شروان فاستأذن عليه

فقال للحاجب : سله من هو ؟

فقال : رجل من العرب

فلما مثلَ بين يديه قال له أنوشروان : من أنت ؟

فقال: سيد العرب

قال أنوشروان : أليس زعمت أنك واحد منهم ؟

فقال: انى كنت كذلك ، فلما أكرمنى الملك بمكالمته صرت سيدهم : فأمر بحشو فمه درّا .

آدب الأكابر مثال للأصاغر

يحكى أن الرشيد أراد أن ينظر الى ابن شعيب القلّال (صانع القلال) كيف يصنع القلال (جمع قلّة وهى الجرّة) وأحضروا جميع ما يحتاج اليه من أدوات العمل

فبينما هو يصنع ، اذا بالرشيد قد أقبل ؛ فلما رآه نهض قائما متأدبا

فقال له الرشيد : دونك ما دعيت اليه ؛ فانى لم أحضرك لتقوم لى وإنما لتصنع بين يدى

فقال ابن شعيب : وأنا يا أمير المؤمنين ، ما أحضر ليسوء أدبى فى حضرتك ؛ وإنما حضرت لأزداد بك أدبا

فأعجب الرشيد بكلامه وأجزه

الأدب أساس النجاح

أعلن تاجر أنه يريد أن يستخدم عنده شابا كاتباً . فرغب فى هذه الوظيفة عدد من الشبان غير قليل ، وحضروا لمقابلته فى ساعة معينة فكان التاجر يدعوهم الى مكتبه واحداً بعد واحد . ويحادثهم فى مسائل كثيرة ليعلم مقدار فطنتهم وآدابهم ؛ ثم اختار أحدهم بعد محاورة قصيرة ، وكان صديق له حاضرا . فاستغرب هذه السرعة فى الاختيار وقال له : على أى شىء بنيت اختيارك لهذا الشاب ؛ فنك لم تحادثه الا قليلا ؟

فقال : إنه عند دخوله مسح نعليه ، ثم استأذن فى الدخول ، وأقفل الباب بلطف وسكون ؛ ففهمت أنه نظيف ومنتظم ، ثم أشار الىّ بالسلام وجاوبنى بنشاط واحترام ، ففهمت أنه حسن الأدب ، وقد لبث ينتظر دوره ، ولم يدافع غيره للحضور بين يدىّ ، ففهمت أنه متواضع . ومتى اجتمعت هـذه الصفات فى شخص كان أفضل ممن سواه . وأحق بالتقدم والنجاح

ادب الرؤساء

مما يؤثر عن اللورد كتشنر (سردار الجيش المصرى سابقا) أنه دخل عنده بعد الاستئذان أحد العساكر فسأله : ماشأنك وما الذى جاء بك ؟

فأجابه : انه فى يوم كذا ، فى ساعة كذا ، مررت بى ياجناب السردار فأديت لك التحية العسكرية ولم ترد لى التحية فلماذا ؟

فسكت السردار قليلا ، وقال له : أتذكر ذلك حقاً ؟

فأجابه : نعم ياسيّدى ، ولولا ذلك لما حضرت الآن

فقام السردار واقفاً وأعطى له التعظيم العسكرى معتذراً له قائلا : لا تؤاخذنى فانى ربما أكون قد سهوت

فانصرف العسكرى شاكراً ، مؤديا التعظيم الواجب لقائده . فهكذا يكون أدب الرؤساء ومعاملتهم لمرءوسيهم ؛ لأنهم يجب أن يكونوا قدوة حسنة ، ومثالا عاليا ، للأدب والاحترام

كمال الأدب فى القيام بالواجب

لما مرض بهاء الدين بن شداد قاضى حلب ، الذى بلغ عند صلاح الدين وابنه الظاهر مالم يبلغه أحد من نظرائه ، جاء لعيادته الصاحب كمال الدين فى جماعة من الشبان فرأوا من كمال أدبه ، وغزارة ظَرْفه ، ما جعلهم يلهجون بالثناء عليه

وقد وصف ذلك كمال الدين فقال : عندما دخلنا عليه استوى قائما فجعلنا نحلف عليه ألّا يفعل

فقال : ياسبحان الله ، تفكرون فى مرضى ، وتتعبون أنفسكم فى

الحضور الىّ من أماكنكم الى منزلى ، ثم أبخل عليكم بقومة . هذا والله غير طريق المروءة

ثم قال : ياأولادى ، لقد دخلتُ على كبير ، وأنا فى سنكم ، فلم يحفل بى فالى الآن ما أذكر ذلك إلا أسأت ذكره ، وندمت على وصولى اليه (ولا يتجنب المعايب ، الا أهل التجارب)

ثم قال أيضا : وكنت أتردد الى مجلس كمال الدين بن يغمور ، وهو نائب السلطنة بالشام ، وكان يقوم لى كلما دخلت عليه ، فدخلت يوما عليه فاذا هو مضطجع ، فلم يقم ، وأخذ فيما كان فيه ، فلما دخلت فى اليوم الثانى ، قام ، ثم جلس ، ثم قام ، ثم جلس

وقال : هذه الأخيرة قومة أمس ، كانت علىّ دينا لعذر . هل تتفضل بقبوله دون مطالبة بذكره

فتعجب من فضله ، ودماثة أخلاقه ، وكمال أدبه

الزم الأدب فى صغرك ، يلزمك فى كبرك

خرج أحد الحكماء ذات يوم الى الخلاء ، ومعه أحد أولاده ، فسارا حتى وصلا غيضةً ناضرة الأشجار ، زاهية الأزهار ، يانعة الأثمار ، وبجانبها شجرة صغيرة قريبة من الطريق ، قد أمالتها الريح ، وكان رأسها يمسّ الأرض

فقال الحكيم لولده : انظر الى تلك الشجرة المائلة ، واذهب فأرجعها الى شكلها الأول . فذهب الولد وأخذ يعالجها الى أن عدّلها . ثم انطلقا حتى اذا قربا (جُمَّيزة) شجرة كبيرة كثيرة العقد والاعوجاج قال الحكيم لابنه :

انظر يا بنى الى هذه الشجرة ، ما أحوجها الى من يصنع معها معروفا فيُعدِّلها ، ويزيل عنها عيوبها ، التى شانتها ، وحطت من قيمتها ، فى أعين الناظرين ، فاذهب نحوها وافعل بها كما فعلت بالتى قبلها .

فتبسم الولد عجباً وقال : انى لا أكره صنع المعروف إلا أن تلك الشجرة غير قابلة للتعديل لكبرها . نعم كان يمكن ذلك فى زمن صغرها وأما الآن فمن المحال ، ولو اجتمع عليها عُصبة من الأبطال .

فأعجب الحكيم بابنه ، وفرح به ، لما آنس فى شدة ذكائه ورقة جوابه وقال : صدقت يا بنى ، فان من شبّ على شىء شاب عليه ، فالزم الأدب فى صغرك ، يلزمك فى كبرك

ثم رجعا من حيث أتيا ، والأب يردد فى نفسه هذا الكلام : ماأسهل تهذيب النفس فى الصغر ، وما أصعبه فى الكبر . وأنشد يقول :

قد ينفعُ الأدبُ الأطفالَ فى صِغَرٍ ... وليس ينفعُ عند الشَّيْبَة الأدب

إنّ الغصون إذا قوّمتها اعتدلَتْ ... ولن تَلينَ ولو قوّمتها الخُشُبُ

من حسن جوابه كملت آدابه

المأمون ومؤدبه

روى أن مؤدب المأمون حضر ذات يوم وانتظر خروج المأمون فتباطأ وتوانى ، فلما حضر بين يديه ضربه ؛ فبكى

وبينما هو يبكى استأذن عليه وزير من وزراء أبيه ، فاستوى جالسا وفتح عينيه ، وأذن له فدخل عليه ، فخشى المؤدب أن يشكوه اليه ، ولكنه لم يفعل . ولما خرج الوزير ، كلّم المؤدب المأمون فى ذلك فقال له : انى لا أحب أن أطلعه على احتياجى الى الأدب ، ووالله ما يطمع منى والدى فى مثل هذا . فسرّ المؤدب من حسن جوابه وشكره

رقة الأدب ومعاشرة الأدباء

قال رجاء بن حَيْوَة لعبد العزيز : ما رأيت أكرم أدبا ، ولا أكرم عشيرة من أبيك . سمرت عنده ليلة ، فبينا نحن كذلك اذ غشى السراج ، ونام الغلام ، فقلت : ياأمير المؤمنين قد غشى السراج ، ونام الغلام ، فلو أذنت لى أصلحته

فقال : إنه ليس من مروءة الرجل أن يستخدم ضيفه

ثم حطَّ رداءه عن منكبيه ، وقام الى السراج ، فصب فيه من الزيت وأشخص الفتيلة ، ثم رجع . فلم يقم أحد

وقال بعضهم فى معاشرة الأدباء :

فكم من جاهل أمسى أديبا   بصحبة عاقل وغدا إماما
كماء البحر مُرٌّ ثم يحلو   مذاقته اذا صحب الغماما

حلية الفضل والأدب

تغنى عن حلية الفخر والنسب

يروى أن عبد الملك بن مروان دخل المسجد الحرام للطواف ، فرأى حلق الذكر والعلم فأعجب بها كل الاعجاب ، وجعل يتأمل و يبتسم ، ثم أشار الى حلقة وقال : لمن هذه ؟ فقيل له : لعطاء ؛ ثم أشار الى أخرى وقال : لمن هذه ؟ فقيل : لميمون بن مهران . وأشار الى أخرى وقال : لمن هذه ؟ فقيل لمجاهد . وأشار الى أخرى وقال : لمن هذه ؟ فقيل : لمكحول . وكلهم من أبناء الفرس

فتعجب من ذلك . فلما رجع الى منزله جمع أحياء قريش وقال : يامعشر قريش ، كنا فيما قد علمتم ، فمنّ الله علينا بمحمد ﷺ وبهذا الدين القويم ، فحقرتموه حتى غلبكم أبناء الفرس ، فلم يرد عليه أحد ، الا على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهم فقال :

« ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »

ثم قال عبد الملك : أرأيت كهذا الحى من الفرس ، ملكوا من أول الدهر فما احتاجوا الينا ، وملكناهم فلم نستغن عنهم ساعة

نعم ما آدبك به أهلك

خرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام اليه غلام من ثقيف فمشى الى جانبه . فقال له عبد الله : ألك حاجة ياغلام ؟

قال : صلاحك وفلاحك ، رأيتك تمشى وحدك فقلت : أقيك بنفسى وأعوذ بالله ان طار بجنابك مكروه .

فأخذ عبد الله بيده ومشى معه الى منزله ثم دعا بألف دينار قدّمها الى الغلام وقال : استنفق هذه فنعم ما أدبك به أهلك .

« إحياء العلوم »

الآدباء والجهلاء

كان رجل مُسن مارّا ذات يوم فى احدى الطرق وهو لايطيق المشى لكبر سنه فالتف حوله بعض الأولاد الذين لا أدب عندهم ولا تربية

وأخذوا يعا كسونه ويسخرون منه

و بعد قليل ، أتاح الله له فريقا من التلاميذ المهذبين ، فاحتالوا على هؤلاء الاشرار وفرقوهم عنه ، وأخذوا بيد هذا الرجل الضعيف حتى أوصلوه الى باب منزله ، فشكرهم ، ودعا لهم بالبركة والنجاح ، ومدحهم الناس على مروءتهم وحسن تهذيبهم

هذه هى نتائج التربية الصحيحة ، والأدب الكامل

قصص وحكم وأمثال

فى فضل حسن الخلق

حسن الخلق دائم، وحسن الوجه زائل

دخل صبي مع أخته فى قاعة الاستقبال، فوجدا مرآة جميلة، فرغبا أن ينظرا فيها، وكان الصبى حسن الصورة، جميل الوجه، فجعل يتبسم فرحًا مسرورا بصورته؛ أما أخته التى كانت مصابة بمرض الجدرى الذى شوّه وجهها قليلا، فأخذت تبكى عند تأملها فى تقاطيع وجهها المعكوسة فى المرآة بكاء الحسرة، فحضرت أمهما فى هذا الوقت وشاهدت الحالة فقالت لابنها:

يابنى، أخطأت بتكبرك واعجابك بنفسك لأجل جمال زائل؛ أما أنت ياحبيبتى لاتأسفى ولا تحزنى، واعلمى أن هناك شيئا أفضل وأحسن من جمال الوجه، وهو حسن الخلق؛ لأن جمال الوجه عرض زائل، وحسن الخلق فضل دائم. ولقد صدق الشاعر فى قوله:

وما الحسن فى وجه الفتى شرفًا له　　اذا لم يكن فى فعله والخلائق

ان حسن الخُلق أفضل من حسن الخَلْق

كان فتى من طيئ يجلس الى الأحنف بن قيس وكان يعجبه لحسن وجهه فقال له يوما : يافتى ، هل تزين جمالك بشيء ؟

قال : نعم ، اذا حدثت صدقت ، واذا حُدثت استمعت ، واذا عاهدت وفيت ، واذا وعدت أنجزت ، واذا أُوتمنت لم أخن

فقال الأحنف : هذه مكارم الأخلاق حقاً

الفيلسوف والحسن الوجه

نظر فيلسوف الى رجل حسن الوجه خبيث النفس فقال :

بيت حسن ، وفيه ساكن نذل

ورأى آخر شابا جميلا فقال : سلبت محاسن وجهك فضائل نفسك

وقال آخر :

لا تجعلن دليل المرء صورته   كم مخبر سمج من منظر حسن

الحض على مكارم الاخلاق

قال الأشعث بن قيس يوما لقومه :

انما أنا رجل منكم ، ليس لى فضل عليكم ، لكن أبسط لكم وجهى

وأبذل لكم مالى ، وأقضى حوائجكم ، وأصون حريمكم ، فمن فعل منكم مثلى ، فهو مثلى ، ومن زاد علىّ فهو خير منى ، ومن زدت عليه فأنا خير منه

قيل له : يا أبا محمد ما يدعوك الى هذا الكلام

قال : حضهم على مكارم الاخلاق

لا يحتقر قبيح الصورة فربما كان فاضلا

دخل أحد العلماء على الرشيد ، وكان قبيح الصورة ، قصير القامة فاستحقره الرشيد فقال : ما أقبح هذا الوجه !

فقال العالم : يا أمير المؤمنين ، إن حسن الوجه ، ليس مما يتوسل به الى الملوك ، هذا يوسف عليه السلام أحسن الناس وجها قال لربه « ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ » ولم يقل انى حسن الوجه جميل

قال : صدقت ارتفع

فرفع قدره ، وقرّبه من مجلسه

بين معاوية وشريك بن الأعور

دخل شريك بن الأعور على معاوية وكان دميما فقال له معاوية : إنك لدميم ، والجميل خير من الدميم ، وانك لشريك ، وما لله من

سريك ، وإن أباك الأعور ، والصحيح خير من الأعور ، فكيف سدت قومك ؟

فقال شريك : وانك أنت لمعاوية ، وما معاوية إلّا كلبة عوت فاستعوت الكلاب ، وإنك لابن صخر ، والسهل خير من الصّخر ، وإنك لابن حرب ، والسلم خير من الحرب ، وانك لابن أمية ، وما أمية الّا أمة . فكيف صيروك أمير المؤمنين ؟ وأنشد

أيشتمني معاوية بن حرب　　وسيفي صارم ومعي لساني

وحولي من بني عمي ليوث　　ضراغمة تهش الى الطعان

فقال معاوية : كفى كفى ياشريك

يثاب قبيح الوجه لحسن فعله

يحكى أن ابراهيم الموصلي قال :

اجتزنا في بعض أسفارنا بحيّ من العرب ، فاذا برجل منهم قبيح الوجه في الغاية ، أطول ذو لحيـة طويلة بيضاء ، يضرب زوجة له وهي جارية حسناء كأنها البدر ، فقمنا اليه لنمنعه عن ضربها فقالت : دعوه إنه أسدى الى الله حسنة ، وأذنبت أنا ذنبا ، فجعلني الله ثوابه وجعله عقابي

بين المأمون ومحمد بن عبّاد

دخل محمد بن عبّاد على المأمون فجعل يلبسه العمامة بيده وجاريته على رأسه تتبسم

فقال لها المأمون : مِمَّ تضحكين ؟

فقال بن عباد : أنا أخبرك ياأمير المؤمنين ، هى تتعجب من قبحى واكرامك لى

فقال لها المأمون : لا تتعجبى ، فمن تحت هذه العمة كرماً ومجداً وأنشد :

وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم   اذا كانت الأعراض غير حسان
فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى   فما كل مصقول الحديد يمانى

منتهى حسن الخلق

نقل عن قيس بن عاصم، أنه بينما هو جالس ذات يوم فى داره إذ جاءته جارية بسفّود عليه شواء (سيخ كباب) فسقط من يدها فوقع على ابن له فمات فدهشت الجارية ، فقال لها قيس : لا روع عليك ، أنت حرة لوجه الله تعالى ، فتعلموا يا أولادى حسن الخلق

اذا حسنت أخلاق السيد ، ساءت أخلاق خادمه

قال عبد الله بن طاهر : كنت عند المأمون يوما فنادى الخادم قائلا : ياغلام ، فدخل غلام تركى وهو يقول : أما ينبغى للغلام أن يأكل ولا يشرب ، كلما خرجنا من عندك تصيح ياغلام ، ياغلام ، الى كم ياغلام ياغلام ، فنكس الخليفة رأسه طويلا . فما تشككت فى أن يأمرنى بضرب عنقه

ثم قال : ياعبد الله ، ان الرجل اذا حسنت أخلاقه ، ساءت أخلاق خادمه ، وان ساءت أخلاقه ، حسنت أخلاق خادمه ، ولا نستطيع أن نسىء أخلاقنا ، لتحسن أخلاق خادمنا .

زين العابدين رضى الله عنه وغلامه

يروى أن زين العابدين استدعى غلاما له وناداه مرتين فلم يجبه فقال له زين العابدين : أما سمعت ندائى ؟ فقال : بلى ، قد سمعت

قال : فما حملك على تركك اجابتى ؟ قال: أمنت منك، وعرفت طهارة أخلاقك، فتكاسلت ، فقال : الحمد لله الذى أمن منى عبدى

(التبر المسبوك)

علاج سوء الخلق بالعقل والحلم

كان صاحب مزرعة رجلا صالحا تقيا، وعنده غلام أجير للحراثة ذو أخلاق شرسة، يغضب من أقل كلمة، ويحتد ويقذف أفظع الشتائم. فكان صاحب المزرعة ينصح له بالابتعاد عن هذه الخصلة الذميمة ويحثه مراراً على أن يقمع غضبه، ويضبط نفسه، ويحفظ لسانه من ذكر قبيح القول فكان يجيبه: هذا مستحيل عليّ؛ لأني أرى نفسي مصابة بداء سوء الخلق وجبلت على معاكسة الانسان والحيوان؛ فلما أراد صاحب المزرعة أن يعالج أخلاق هذا الغلام الشرير قال له: اصغ الى أيها الغلام، وانظر الى هذه القطعة الجميلة الفضية الجديدة، التي تساوى خمسة فرنكات، فانى مستعد لأن أهبك إياها فى هذا المساء، ان صبرت طول النهار دون أن تفوّه بكلمة قبيحة، وكظمت غيظك. فقبل الغلام هذا الشرط برضا وفرح؛ إلا أن رجال القرية - وكانوا يكرهونه لسوء خلقه وسوء معاملته - اتفقوا فيما بينهم على حرمانه من هذه المكافأة، ولذا أفرغوا مجهودهم فى معاكسته لاستفزازه وتهييج غيظه؛ ولكن الغلام ضبط نفسه جيدا ولم ينطق بكلمة تدل على سوء أدبه

فلما جاء المساء دفع له صاحب المزرعة الريال الذى وعده به وقال له: يلزمك يا بنى أن تستحى خجلاً لأنك لم تستطع أن تتغلب على

أميالك الغضبية، إلا لاجل هذه القطعة الفضية ، وانك عاجز عن قبول النصيحة الذهبية ، حبا فى الله، وعملا بأوامره . فأثر هذا القول فى الغلام فاجتهد فى اصلاح خلقه السيء ، وتجنب خطيئة الغضب والحدة، وأصبح لطيف الطبع ، حسن الخلق

القائد السيء الخلق ، والراهبة الصالحة

حكى أنه كان فى الجيش الفرنسى قائدا لا يتقهقر أمام عدوه فى الحرب كما أنه كان لا يتقهقر أمام أحد فى الشتم والسب

وقد لازمه هذا الخلق السيء حتى بلغ من الكبر عتياً وفاجأه مرض النقطة، حتى جعله يلازم الفراش فى بقية حياته التعسة، فطلب من إحدى جمعيات الراهبات راهبة تعينه على باقى أيامه القليلة ، وقد قدر اخلاص أولئك الاخوات الصالحات حق قدره، وحسن اعتنائهن بالمرضى، وما كادت تصل تلك الراهبة الى سريره حتى تلقاها بالقذف والسب الذى اعتاد عليه، فأرادت الرجوع من حيث أتت لعدم علمها بحالته . لكنها كانت ذات عقل حكيم ، وصبر عظيم ، فابتدأت تهدئ من روعه وتسكن من حدته

فقال لها القائد : لا تؤاخذينى يا أختى ، فلست أقدر على أن أمنع نفسى عما تسمعين ، فهذه عادتى من منذ ثلاثين سنة

فقالت له الراهبة : أتظن أنك لا تستطيع مداواة هذه العلة الذميمة ؟ فاصغ الىّ أيها القائد اذا كنت تريد أن أستأصل شأفة هذا الداء ، فان الدواء قريب منك

فقال لها : وأنا أريد ذلك من صميم فؤادى

فقالت : وهل تستطيع معى صبرا ؟

فقال : اذا أمكننى

فقالت له : انك لن تستطيع معى صبرا ، حتى تطاوعنى فى كل ما آمرك به ، ولا تعصى لى أمرا

فأجاب بالايجاب

فقالت : دواؤك ألاّ تتلفظ بالسب ، واذا تلفظت به ، تدفع لى فى كل مرة مائة درهم أنفقها على الفقراء

فقال : مائة درهم على كل سُبّة ! انك تبغين إفلاسى أيتها الراهبة

فقالت : ألم تعدنى أنك لاتعصى لى أمرا ؟ فتدبر فى أمرك أيها القائد فلا تسب ولا تشتم لكيلا تخسر شيئا

فقال : وامصيبتاه ! لاأسب ولا أشتم ، إنى لاأجد أمرا أصعب علىّ من هذا ، ويجب أن أموت فى المستشفى ولا تحضرينى

فصارت تخادعه وتلاطفه ، وتبدى له سوآته ، حتى قبل منها على شرطها فنى أول مرة تلفظ بكلمة قبيحة جداً

فقالت له : هاتِ مفتاح الخزانة لآخذ الدراهم . ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا ؟

فقال لها : لا تؤاخذينى بما نسيت ، فلست أعصى لك أمرا

وبعد نصف ساعة أعاد الكرة ، فأعادت الراهبة المفتاح فى الخزانة وأخذت مائة درهم أخرى ، فتململ وأخذ منه الغيظ مأخذاً أعظما . وعضّ على أصابعه ندماً على ما فرط منه وقال :

اذا استمر الحال معى على ذلك وقعت فى شرك الإفلاس ، فما علىّ إلّا السكوت ؛ وبعد ساعة أراد أن يفعل حسب عادته ، فخرج نصف الكلمة على الرغم منه ؛ ولما تذكر أنه سيخسر المائة درهم أطبق شفتيه على النصف الآخر ؛ لكن الراهبة أخذت مبلغها فاكتفى بهذه الخسارة فى يومه

وفى اليوم الثانى ، كان يمر السب والقذف على ذاكرته مرور الخيال ويمنعه من التفوه به حرصاً على دراهمه شيئا فشيئاً . واكتفى بان ضم يديه على صدره ، وتنهد بقلب مقرح ، ومضى على ذلك ثلاثة أيام . ابتدأ بعدها القائد أن يتناسى ذلك الطبع الردىء ، والخلق السيء ، حتى شفى من سوء خلقه ؛ ولكن لم يشف من مرضه ، ومات بعد ذلك بزمن قليل نظيفا تائبا من ذنوبه ، بريئاً من عيوبه ، ولسان حاله يقول :

يهون علينا أن تصاب جسومنا   وتسلم أعراض لنا وعقول

زين العابدين والرجل الشرس

خرج زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما الى المسجد فسبه رجل. فقصده غلمانه ليضربوه ويؤذوه، فنهاهم زين العابدين وقال: كفوا أيديكم عنه؛ ثم التفت الى ذلك الرجل (السيء الخلق) وقال: ياهذا، أنا أكثر مما تقول، ومالا تعرفه مني أكثر مما عرفته، فان كان لك حاجة فى ذكره ذكرته لك فخجل الرجل واستحيا. فخلع عليه زين العابدين قميصه وأمر له بألف درهم. فمضى الرجل وهو يقول: أشهد أن هذا الشاب ولد رسول الله ﷺ (التبر المسبوك)

عمر بن عبد العزيز والرجل المجنون

لما ولى عمر بن عبد العزيز خرج ليلة ومعه حرسىّ. فدخل المسجد فمر فى الظلمة برجل نائم، فعثر به فرفع رأسه اليه فقال: أمجنون أنت؟ قال: لا، فهمّ به الحرسى، فقال له عمر: مَه، انما سألنى: أمجنون أنت؟ فقلت لا. (سيرة عمر بن عبد العزيز)

أبو حنيفة والرجل السيء الخلق

شتم رجل أباحنيفة وهو فى درسه وأكثر، فما التفت اليه ولا قطع كلامه؛ ونهى أصحابه عن مخاطبته، فلما فرغ وقام، تبعه الرجل الى باب

داره ، فقام على بابه وقال للرجل : هذه دارى ان كان بقى معك شىء فأتمه ، حتى لا يبقى فى نفسك شىء ، فاستحيا الرجل وانصرف مخذولا

الرجل السفيه والرجل العاقل

اعتدى رجل سفيه على أحد العقلاء بكلام بذىء فلم يلتفت اليه ولم يجبه متمسكا بقول الشاعر :

اذا نطق السفيه فلا تُجبه   فخير من اجابته السكوت

فسئل عن سبب تمنعه عن ايقافه عند حده وتأديبه بما يستحقه فأجاب السائل اذا نبح عليك كلب ، فهل تنبح مثله قال : لا

واذا رفسك حمار أترفسه ؟ قال : لا

واذا نطحك ثور فهل تنطحه قال : لا

فأجابه : ان السفيه لا يمتاز عن تلك الحيوانات لاشتراكه معها فى أقبح صفاتها وهى الشراسة والحماقة

فاقتنع السائل وانصرف وهو يقول : لا غرابة اذا سعد كبار العقول وشقى صغارها

الولد السفيه

أراد أحد السفهاء الجهال أن يعيّر أحد الأدباء العلماء بأخيه فقال له : ألم تعلم بأن أخيك كان خادما عند أبى ؟

فأجابه الأديب فى الحال : نعم ، لا أنكر أن أخى كان خادما عند والدك ؛ ولكن حفظ له ماله وشرفه وسمعته ، أما أنت فلم تحفظ له ماله ولا كرامته ، فأيكما أفضل ؟ فأخجله وأسكته

الولد القبيح

تجاسر ولد قبيح ، عديم التربية والتهذيب ، على رجل عاقل مهذب وشتمه ، وعيّره بفقره ، وغنى والده

فقال له : نعم ، ان والدى لم يترك لى شيئا ، وكان حكيما شريفاً ، ومات شهيداً ، ضحية القيام بالواجب ؛ أما والدك فكان غنياً ، وترك لك ولاخوتك أطيانا وعقارا ؛ ولكن بالله عليك قل لى :

هل ترك فيكم رجلاً رشيدا ؟ ثم أنشد يقول :

لاتقل أصلى وفصلى أبدا انما أصل الفتى ما قد حصل

ثم قال :

ما بقومى شرفت بل شرفوا بى و بنفسى ارتفعت لا بجدودى

قصص وأمثال فى الصمت والكلام

ستر عيوب الأنسان ، فى حفظ اللسان

اجتمع قُسُّ بن ساعدة ، وأكثم بن صيفى ، فقال أحدهما لصاحبه :

كم وجدت فى ابن آدم من العيوب ؟

قال : هى أكثر من أن تحصر . وقد وجدت خصلة واحدة اذا استعملها الانسان سترت عيوبه

قال : وما هى ؟

قال : حفظ اللسان

وقال أحد الشعراء :

قبيح من الانسان ينسى عيوبه ... ويذكر عيبا فى أخيه قد اختفى

فلو كان ذا عقل لما عاب غيره ... وفيه عيوب لو رآها بها اكتفى

لا تتكلم فى حق الغير

كان أحد الفلاحين ذاهبا الى بلدته حاملا على كتفه خرجا مملوءا .

وبينما هو سائر فى الطريق قابله أحد اخوانه ورافقه . فأخذ الفلاح يتكلم معه على نقائص الغير ، ولم يتفوّه بكلمة فى نقائصه

فلما ضجر رفيقه من كثرة كلامه ، وذكره عيوب الناس ، قاطعه قائلا : يظهر لى يا رفيقى أنك خبأت كل نقائص الناس فى فتحة الخرج التى أمامك ، حتى تبصرها دائما ، وتستطيع أن تسردها على حسب هواك

أما نقائصك فالقيتها وراء ظهرك ، فى الفتحة الخلفية ، مخافة أن تغشى على بصرك ؛ فأشير عليك أن تدور الخرج حتى ترى عيوبك قبل أن ترى عيوب الناس ، فهذا خير لك وأبقى

واعلم يا رفيقى ، أن الرجل الحكيم ، هو الذى يحارب نفسه وهواه ولكن الجاهل هو الذى لا يشتغل إلاّ بمذمة الغير . وأنشد : قول الامام الشافعى رضى الله عنه

اذا رمت أن تحيى سليما من الردى	وذنبك مغفور وعرضك صيّن
لسانك لا تذكر به عورة امرئ	فكلك عورات وللناس ألسن
وعيناك إن أبدت اليك معائباً	فدعها وقل يا عين للناس أعين

ديوجيس الفليسوف ومعيّروه

عيّر (ديوجيس) أراذل الناس بالفقر ، وعابوه به فقال لهم : لم أر أحداً عوتب على فقره ، ورأيت كثيرا من الناس أرباب القبائح والخيانات يعاقبون على قبائحهم وخيانتهم . وقد قال الشاعر :

عليك نفسك فتش عن معايبها   وخل عن عثرات الناس للناس

فائدة السكوت

قاد تاجر هندى فيلاً الى السّوق ليبيعه . فأتى إنسان وجعل يدور حول الفيل كأنه يفحصه . فسأله التاجر عما إذا كان يريد ابتياعه فلم يجب

ثم جاء رجل آخر ليبتاعه . فتقدم التاجر من الرجل الأول وقال له :

إذا بقيت صامتا حتى أبيع الفيل أعطيتك مائة قرش . ثم باعه وأعطى الرجل مائة قرش حسب وعده وقال له :

أخبرنى كيف عرفت العيب الذى فى رجل الفيل ؟

فقال الرجل :

إنى رجل غريب ولم أر فيلاً من قبل . فكنت أفحص الفيل لغرابة منظره ، ولم أر عيبا فيه قط

فقال له : وأنا أعطيتك هذا المبلغ جزاء سكوتك ، فاهنأ به

من قال حسناً سمع حسناً

خرج صبيّ في يوم عطلة المدرسة الى بعض الغابات للتنزه واللّعب .

فبينما هو يتغنى ببعض الأناشيد ، سمع صوتاً كأنه من شخص آخر يردّ عليه من بعيد بمثل مايقول ، ويتغنى بمثل صوته

فصاح : من أنت ؟

فسمع الآخر يقول : من أنت ؟

فقال : أخبرنى من أنت ؟

فسمع الآخر يقول : أخبرنى من أنت

فظنّ أنّ هناك صبياً آخر يهزأ به

فقال : حقيقة إنك قبيح

فسمع الآخر يقول : حقيقة إنك قبيح

فاشتدّ غضبه وقطع فرعا من شجرة ، وذهب يبحث عن الصّبىّ ليضربه

ولما أعياه البحث ، ولم يجد أحدا ، رجع الى أمّه متكدّرا ، فسألته عن السبب فقال لها : كان فى الغابة ولد يهزأ بى و يردّ علىّ كل ما أقول ولما بحثت عنه لم أجده

فقالت له : ياولدى العزيز لم يكن هناك أحد ، وما سمعته إنما هو صدى صوتك . فلو قلت حسناً لسمعت حسناً

الغلام فى الغابة

كان غـلام ماشياً فى غابة تشفى العليل
والجو كان صافيا كالزهر أو كالسلسبيل
سرّ الفـتى كل السرور من ذلك الوقت الجميل
صاح يغـنى بحبـور يا ربّة المجـد الأثيـل
ردّ الصّدى صوت الغلام فظنـه شخصـا يكيـد
صـاغ له مُرّ الـكلام والصوت فى الصدى شديد
عاد عليـه كل ما يقول شيئا من جـديد
راح الصّـبى شاكـيا لوالد ممّـا يعيـد
قال أبوه شارحا ليس هنـاك أحـدُ
بل ما سمعتَ واضحا ما كان منك يوُجـد
وهكـذا كلّ الذى تســمعه يردّد
حلو الـكلام والبـذى والفحش ليس يحمـد

(عرفه)

لا تعود لسانك قبح الكلام

غضب أمير على سائس عنده ، وكان الأمير حليما ، ولم يكن معتاد الشتم والسبّ فنادى أحد خدامه ، وقال له : اشتم لى هذا السائس

فأجابه الخادم بكل أدب وخضوع : أرجوك يا مولاى أن تكلفنى بما هو أخف علىّ من هذه ؛ لأنى أخشى أن يعتاد لسانى قبح الكلام

فسرّ الأمير من حسن جوابه وأجازه

وزن الكلام اذا نطقت

اشتهر أحد الأمراء بالنجابة والفطنة والذكاء منذ نعومة أظفاره ، ولما بلغ السابعة من عمره رآه رجل كبير السن فقال له :

إن من كان هذا ذكاؤه فى صغره ، يصير بليداً أحمق فى كبره

فأجابه الأمير على الفور : إذاً كنت أذكى الناس فى صغرك

فأسكته وخجل الرجل من كلامه وانصرف

حسن التخلص من الكلام المهين

جرت منازعة شديدة بين أحد الملوك وملك آخر ، فعزم الملك الأول أن يرسل الى خصمه سفيرا ليبلغه كلاما مهينا ، واختار لذلك أحد

حاشيته المقربين اليه ؛ فلما أحضره عنده أبلغه مراده . فاعتذر الرجل عن الذهاب خوفا من سوء العاقبة

فأجابه الملك : لا تخف ، فاذا حصل لك أقل ضرر قطعت رءوس كل الرجال التابعين لذلك الملك الموجودين فى مملكته

فأجابه تابعه : مامن رأس من الرءوس التى تقطعها توافق بدنى كرأسى

فضحك الملك وعدل عن ارساله وأجازه لحسن تخلّصه .

الجواب المسكتُ

حنق أعرابى على ابنه فعيّره بأمّه وقال له :

أتعصانى وتشمخ بأنفك وأنت ابن أمة ؟

فأجاب الولد : يا أبتِ هى والله خير منك

فقال أبوه : وكيف ذلك وهى أمة وأنا حرّ ؟

فأجاب الولد : ذلك لأنها أحسنت الىّ الاختيار ، فولدتنى من حرّ وأنت أسأت الاختيار ، فولدتنى من أمة

الجواب الحسن

ذكروا أن المتوكل على الله قال ذات يوم لابى العيناء وكان ضريرا :

أى شىء فقدته بذهاب بصرك ؟

فقال : فَقَدُ رؤيتك يا أمير المؤمنين
فاستحسن جوابه وأمر له بجائزة نفيسة

سقراط وأحد الفلاسفة

كان سقراط الحكيم قليل الأكل ، خشن اللباس فكتب اليه بعض الفلاسفة :

أنت تحسب أن الرحمة لكل ذى روح واجبة ، وأنت ذو روح فلا ترحمها بترك قلة الأكل وخشن اللباس .

فكتب فى جوابه

عاتبتنى على لبس الخشن ، وقد يعشق الانسان القبيحة ، ويترك الحسناء المليحة ؛ وعاتبتنى على قلة الأكل ، وانما أريد أن آكل لأعيش ، وأنت تريد أن تعيش لتأكل والسلام

فكتب اليه الفيلسوف

قد عرفت السبب فى قلة الأكل ، فما السبب فى قلة الكلام ؟ واذا كنت تبخل على نفسك بالمأكل ، فلمَ تبخل على الناس بالكلام ؟

فكتب فى جوابه :

ما احتجتَ الى مفارقته وتركه للناس فليس لك ، والشغل بما ليس لك عبث . وقد خلق الحق سبحانه وتعالى لك أذنين ولسانا ، لتسمع ضعف ماتقول ، ولا لتقول أكثر مما تسمع والسلام

محاسن الكلام

احتفل مجلس كسرى بوزرائه يوما وكان بزرجمهر جالسا لايحرك لسانه فلما سئل فى ذلك ، قال : اعلموا أيها الوزراء . أن حكماء النفوس كأطباء الأبدان ، لايصفون الدواء ، إلا لمن به داء

وحيث انى أراكم تصيبون الغرض ، فلست أرى فى نفوسكم من مرض . لذا ترونى ساكتا صامتا . وهذه خلّة أهل العلم والفضل . فاذا رأى أحدهم أن حال الناس مستقيمة بدونه ، تركها وشأنها ، ولا حرج عليه اذا صان نفسه عن الكلام

أما إذا رأى أعمى يريد أن يقع فى بئر وسكت ، فقد عرض نفسه للتأنيب والملام

ربّ كلمةٍ جلبت نعمة

بينما كان ملك الانجليز (جورج الأول) ذاهبا الى « هانوفر » جاع فى أثناء الطريق فأخذ بيضتين من منزل أحد المسافرين وأكلهما

ثم رفع صاحب المنزل حسابه للملك . فاذا هو قد طلب ثمن البيضتين عشرين جنيها انجليزيا

فقال له الملك : لماذا هذا الغلاء الفاحش ؟ هل البيض نادر عندكم ؟
فأجاب صاحب المنزل : كلا يامولاى ؛ ولكن النادر عندنا
مرور الملك
فسُرّ من حسن جوابه وأمر له بما طلب .

ان البلاء موكل بالمنطق

جلس رجل تحت شجرة ، فسمع فوقها صوت طائر ، فرماه فسقط ميتا بين يديه ؛ فقال : ما أحسن حفظ اللسان ، بالطائر والانسان ، ثم أنشد يقول .

يموت الفتى من عثرة بلسانه   وليس يذوق الموت من عثرة الرجل
فعثرته بالقول تذهب رأسه   وعثرته بالرجل تشفى على مهل

ليس المرء بحسنه بل بلسانه وعقله

دخل ضَمْرَة بن ضمرة على المنذر بن ماء السماء . والمنذر اذ ذاك ملك الحيرة واليمامة ، وكان ضَمْرَة ذا عقل وعلم وحلم وشجاعة وحكمة ، غير أنه كان دميم الخلقة . قصير القامة . وكان أمره قد شاع وذاع لخصاله المحمودة وأعماله المشكورة . فلما رآه المنذر احتقره وقال : سماعك بالمعيدى خير من أن تراه . فقال له ضَمْرَة : أيها الملك : ليس المرء بحسنه وجماله ، وبهائه وكماله

وهيئته وثيابه، لاوالله حتى يشرف أصغراه ولسانه وقلبه، و يعلو أكبراه : همته ولُبُّه وقد قال الشاعر .

وما المرء الا الأَصغران لسانه ومعقوله والجسم خلق مصور

فعطف عليه المنذر ، وأمر له بصلة ، فأخذها ومضى .

(ثمار الانشا)

الهيثم بن صالح وابنه

قال الهيثم بن صالح لابنه : يا بنى اذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب

فقال : ياأبتِ فان أكثرت وأكثرت (أى كلاما وصوابا)

فقال : يابنى ما رأيت موعوظا أحق بان يكون واعظا منك

المرء بأصغريه قلبه ولسانه

ذكر بعض الرُّواة أنه لما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة . قدم عليه وفود أهل كل بلد فتقدم اليه وفد أهل الحجاز . فاشرأب منهم غلام للكلام

فقال عمر : يا غلام . ليتكلم من هو أسن منك

فقال الغلام : يا أمير المؤمنين إنما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه ؛ فاذا منح الله العبد لسانا لافظا ، وقلبا حافظا ، فقد استحق الكلام ؛ ولو أنّ الأمور بالسّنّ . لكان هاهنا من هو أحق منك بمجلسك هذا

فقال عمر : صدقت . تكلّم ، فهذا السحر الحلال

فقال الغلام : يا أمير المؤمنين ، نحن وفد التهنئة ، لا وفد المرزئة . ولم يقدم أحد منّا إليك رغبة ولا رهبة . لأننا قد أمنا فى أيامك ماخفنا ، وأدركنا ما طلبنا

فاعجب عمر بكلامه . وسأل عن عمره . فقيل له عشر سنين

فقال : ارفعوا الغلام فوق مرتبته

الأطيبان الأخبثان

١ — رُوى أن لقمان النوبى الحكيم أعطاه سيده شاة وأمره أن يذبحها ، وأن يأتيه بأخبث مافيها ، فذبحها ، وأتاه بقلبها ولسانها

ثم أعطاه شاة أخرى ، وأمره بذبحها ، وأن يأتيه بأطيب ما فيها . فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها

فسأله عن ذلك فقال : ياسيدى ، لا أخبث منهما ، إذا خبثا . ولا أطيب منهما ، إذا طابا

٢ — قيل : دخل الحسن بن الفضل على بعض الخلفاء وعنده كثير من أهل العلم ، فأحبّ الحسن أن يتكلم ، فزجره الخليفة . وقال : أصبي يتكلم في هذا المقام ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كنت صبياً فلست بأصغر من هُدْهُد سليمان ، ولا أنت بأكبر من سليمان عليه السّلام إذ قال : « أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ »

ثم قال : ألا ترى أن الله تعالى فهّم الحكم ليحيي فقال : « وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا » ولو كان الأمر بالأكبر لكان داود عليه السّلام أولى .

ان من البيان لسحراً

الرازى والرجل

قال رجل ليحيي بن معاذ الرازى : انك تحب الدنيا .

فقال يحيي للرجل : اخبرنى عن الآخرة ، بالطاعة تنال أم بالمعصية ؟

قال : لا ، بل بالطاعة

قال : فاخبرنى عن الطاعة ، بالحياة تنال أم بالممات ؟

قال : لا ، بل بالحياة

قال : فاخبرنى عن الحياة ، أبالقوت تنال ؛ أم بغير القوت ؟

قال : لا ، بل بالقوت

قال : فاخبرنى عن القوت ، أمن الدنيا هو ؛ أم من الآخرة ؟

قال : لا ، بل من الدنيا

قال : كيف لا أحب الدنيا ، قدر لى فيها قوت ، أكتسب به حياة ، أدرك بها طاعة ، أنال بها الآخرة

فقال الرجل : ان من البيان لسحراً

فصاحة اللسان توجب الاحسان

كان الحسن بن على يوماً جالسا فجاءه رجل وسأله شيئا من الصدقة ولم يكن عنده ما يسد به رمقه فاستحيا أن يرده فقال :

ألا أدلك على شىء يحصل لك منه البرُّ والاحسان ؟

فقال : ماذا تدلنى عليه ؟

قال : اذهب الى الخليفة ، فان ابنته توفيت ، وانقطع عليها ، وما سمع من أحد تعزية ، فعزه بهذه التعزية يحصل لك بها الخير

فقال : حفظنى إياها

قال : قل له – الحمد لله التى سترها وأكرمها ، بجلوسك على قبرها
ولاهتكها وأحرمها بجلوسها على قبرك

فذهب الى الخليفة وعزّاه بهذه التعزية

فلما سمعها ذهب عنه الحزن ، وأمر له بجائزة وقال :

بالله عليك أكلامك هذا ؟

قال : لا ، بل كلام الحسن بن على .

فقال : صدقت فانه معدن الكلام الفصيح ، وأمر له بجائزة أخرى
لصدقه

حكايات وأمثال فى فضل الصدق

الولد الصادق

كان غلامان يرعيان غنمًا فى مكان كثير الأشجار ، فتسلق أحدهما شجرة منها ؛ وبينما هو صاعد زلقت رجليه فتمزق ثوبه فقال : ماذا أصنع وأنا لا أقدر أن أخيطه بنفسى ؟

فقال له صاحبه : لا تفكر فى هذا الأمر ، واخبر والدتك أن مسمارًا مزقه بدون أن تشعر ، فتعذرك ولا تعاقبك وتصلحه لك فقال : إنى أفضل الصدق ، ولو تحققت معه العقوبة ، على الكذب وإن كان فيه السلامة ثم أخبر والدته بما حصل ، فأصلحت له الثوب ومدحته على صدقه وحثته على اتباعه

الصدق منجاة

شيخ عظيم فى البرايا سعيد ... له من الدنيا غُلام وحيد
حَلَّ ابنه يوما ببستانه ... والنور فيه مِثلُ عِقد نضيد
فعاثَ فيه لا يُبالى الأذى ... وغادر الزرع هشيما حصيد
ثم أتى والده بعدَه ... وشاهد الرّوضة كادت تبيد

وقال من أتلف غَرسى وهل سطا على الغرس عدوّ شديد ؟
فلم يجيبوه وقد أطرقوا خوفاً على النجل العزيز الفريد
فأقبل الطفل مقرّا بما جنى وقال افعل أبى ما تريد
أنا الذى فى الروض عاثت يدى وخالق الكون عليم شهيد
ففرح الوالد من صدقه وخصّه من عطفه بالمَزيد
وقال يا نجلى بَلغت المُدى فسر على النّهج القويم السديد
عليك بالصدق ولو أنه أحرقك الصدقُ بنار الوعيد

(آداب العرب)

الصدق طريق مستقيم

زارت سيدة مرّة مدرسة الصمّ والبكم ، ولعجزها عن التفاهم بالإشارة مع الأطفال كتبت على السّبورة بماذا يشبه الصدق ؟

فرفعت بنت صغيرة يدها ، فدعتها السيدة لتكتب ماخطر ببالها فتناولت البنت قطعة من الطباشير ، ورسمت خطا مستقيما من نقطة الى أخرى . فسرت السيدة كثيرا وكتبت أيضا .

بماذا يشبه الكذب ؟ فمحت البنت ما رسمته أولاً ، ورسمت خطا معوجا جداً .

فاستنتجت السيدة أن البنت أجابت بأن الصدق طريق مستقيم من يسلكه سلم . وأن الكذب طريق معوج كثير العثرات ، لا يأمن من سلكه الوقوع فى الزلات .

الصدقُ ينجى الانسان من الأخطار

لجأ هارب من أعدائه إلى سيدنا على الخوّاص رضى الله عنه وطلب اليه أن يخفيه من أعدائه . فقال له : نم هنا

ثم ألقى عليه حزمة من الخوص . فلما أتى اليه أعـداء الرجل وسألوا الخواص عنه قال لهم : هاهو ذا تحت الخوص ، فظنوا أنه يسخر منهم ، فتركوه ، ونجا الرجل من أيديهم ببركة الصدق

جزاء الصادق

ذهب فلاح إلى جار له غنى مولع بالصيد وشكا اليه ما أصاب القمح فى حقله من التلف بسبب كثرة دخول كلابه فيه

فقال الجار : حقاً ياصاحبي كثيراً ما نزلت كلابى فى حقلك وربما سببت شيئا من التلف ، وأنا مستعد لتعويض خسارتك

فقال الفلاح : لما رأيت ما حل بأرضى من التلف دعوت صديقا لى

لتقدير الخسارة قرر أنها تبلغ ثلاثين جنيهاً ، فقدم اليه السرى ما طلب من التعويض .

ولما جاء وقت الحصد وجد الفلاح أن الجزء الذى ظنه تالفا أتى بأحسن حاصل ، فذهب إلى السرى وأعلمه بحقيقة الحال وقال : أنه قد أتى لرد المبلغ لأنه لا يرى لنفسه حقاً فيه . فقال السرى : هذا ماينبغى بين الرجل والرجل . ثم ذهب إلى حجرة أخرى ، فعاد ومعه خمسة أمثال المبلغ وقدمه إلى الفلاح قائلا .

ادخر هذا المبلغ حتى يصير عمر ابنك إحدى وعشرين سنة . وإذ ذاك سلمه اليه وقص عليه قصّته . « القراءة الرشيدة »

صدق المرء أفضل من كل شىء

أعطى أحد الأغنياء ابنه فى يوم عيد فأسا صغيرة فأخذها ودخل حديقة القصر من غير أن يراه أحد ، وجعل يقطع كل ما يقدر على قطعه من الأشجار وهو بذلك فرح مسرور ، وكان من الأشجار التى قطعت شجرة عزيزة جدا عند أبيه ، وفى اليوم الثانى أخذ الرجل ابنه وتجوّل به فى الحديقة . ولما وصل إلى الشجر المقطوع ورأى الشجرة العزيزة قد قطعت غضب غضباً شديداً وقال بصوت عال : لو عرفت قاطع هذه

الشجرة لعاقبته عقاباً أليما . فبكى حينئذ الولد لأنه لم ير الغضب من أبيه قبل ذلك وقال :

يأبتِ أنا الذى قطعت هذه الشجرة ، عند ذلك ذهب غضب أبيه و بشّ فى وجهه ، وقبله بين عينيه وقال له : يا بنى ان صدقك أفضل عندى من كل شىء سواه ، وإنى أحب أن تتمسك به مادمت حيا . وكافأه مكافأة حسنة « المطالعة العربية »

التوبة ببركة الصدق

قال الشيخ عبد القادر الكيلانى رضى الله عنه :

بنيت أمرى على الصدق . وذلك أنى خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم فأعطتنى أمى أربعين ديناراً ، وعاهدتنى على الصدق ؛ فلما وصلنا أرض همدان خرج علينا عرب فأخذوا القافلة فمر واحد منهم وقال : مامعك ؟ قلت : أربعون ديناراً : فظن أنى أهزأ به ، فتركنى .

فرآنى رجل آخر فقال : ما معك ؟ فأخبرته فأخذنى إلى أميرهم . فسألنى فأخبرته . فقال : ماحملك على الصدق ؟ قلت : عاهدتنى أمى على الصدق ، فأخاف أن أخون عهدها ، فصاح ومزّق ثيابه وقال : أنت تخاف أن تخون عهد أمك ، وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله

ثم أمر برد ما أخذوه من القافلة

وقال : أنا تائب لله على يديك ؛ فقال من معه : أنت كبيرنا فى قطع الطريق ، وأنت اليوم كبيرنا فى التوبة ، فتابوا جميعا ببركة الصدق

« نزهة المجالس »

نجاة المرء فى صدقه

خطب الحجاج مرة فأطال ، فقام رجل وقال :

الصلاة ، فان الوقت لا ينتظرك ، والربّ لا يعذرك ، فأمر بحبسه .

فأتاه قومه ، وقالوا :

انه لمجنون ، وسألوه إخلاء سبيله . فقال الحجاج : إن أقر بالجنون أخليت سبيله ، وعفوت عنه ، فلما سمع الرجل ذلك قال :

لا أزعم أن الله ابتلانى ، وقد عافانى ، فعفا عنه الحجاج لصدقه .

يقول الحق بلا خوف

روى أن معاوية بن أبى سفيان كان جالساً وعنده جماعة من الأشراف فقال معاوية : من أكرم الناس أباً وأماً وجَدًّا وجدّة وعمًّا وعمّة وخالاً وخالة ؟

فقام النعمان بن العَجْلان الزُّرقى بعد ما أخذ بيد الحسن فقال :

هذا أبوه على بن أبى طالب ، وأمه فاطمة ، وجدّه رسول الله ﷺ وجدته خديجة ، وعمه جعفر ، وعمته أم هانئ بنت أبى طالب ، وخاله القاسم ، وخالته زينب ، فهذا هو الشرف الذى لا يدانى ، والفضل الذى لا يبارى

فانظر كيف قال النعمان الحق بلا خوف ، ومعاوية إذ ذاك خليفة المسلمين وأمير المؤمنين . فكان يجوز أن يشرفه على سواه . ولكنه آثر الحق ، وقال الحق .

فهكذا تكون الرجال ، وهكذا يكون الصدق فى المقال .

(ثمار الإنشاء)

قل الحق وان كان على نفسك

حكى أنه جرى بين عبد الله بن الزبير وبين معاوية كلام طويل فى آخره قال ابن الزبير : ما مثلى يُهارش ، ولكن عندك من قريش والأنصار ومن ساكنى الحَجُون (جبل بمكة) والآطام (بلدة باليمامة) مَن إن سألته حملك على مَحجّة أبين من ظهر الجفير (كنانة من جلود لاخشب فيها) قال : ومن ذلك ؟

قال : هذا ، يعنى أبا الجَهْم بن حذيفة

فقال معاوية : تكلم ياأبا الجهم .

فقال : أعفِنى

فقال : عزمت عليك لتقولن

قال : نعم ، أمك هند ، وأمه أسماء بنت أبى بكر ، وأسماء خير من هند ، وأبوك أبو سفيان ، وأبوه الزبير .

ومعاذَ الله أن يكون أبو سفيان مثل الزبير ، وأما الدنيا فلك ، وأما الآخرة فله إن شاء الله تعالى . ففصل بينهما بالحق ، وقول الصدق .

(ثمار الإنشاء)

فى الصدق النجاة

خرج الشعبى مع ابن الأشعث على الحجاج ، فظهر الحجاج على ابن الأشعث فاستشار الشعبى أصحابه ، فأشاروا عليه بالاعتذار

فقال الشعبى : فلما دخلت خالفت مشورتهم ، ورأيت والله غير الذى قالوا ، فسلمت عليه بالإمرة ثم قلت : أيّد الله الأمير . إن الناس قد أمرونى أن أعتذر بغير مايعلم الله إنه الحق ، ولك الله ألّا أقول فى مقامى هذا إلا الحق . قد جهدنا وحرضنا ، فما كنا بالأقوياء الفجرة ، ولا الأتقياء البررة ، ولقد نصرك الله علينا وأظفرك بنا ، فان سطوت فبذنوبنا ، وان عفوت فبحلمك ، والحجة لك علينا .

فقال الحجاج : أنت والله أحبُّ الينا قولاً ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا ويقول : والله مافعلت ولا شهدت ، أنت آمن ياشعبى .

فقلت : أيها الأمير ، اكتحلت والله بعدك السهر ، واستحلسني الخوف (لزمته ولم أفارقه) وقطعت الأخوان ، ولم أجد من الأمير خلفا . قال : صدقت ، وانصرفت (ثمار الإنشاء)

قيمة الصدق

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بمنى (بلدة بالحجاز) فعطش فانتهى إلى عجوز فاستسقاها ماء . فقالت : ماعندنا . فقال لبناً ، فقالت : ماعندنا . فبدرت جارية ، فقالت لها : تكذبين ، وما تستحيين ؛ ثم قالت لعمر : هذا السقاء فيه لبن . فسأل عمر عن الجارية ، وذا أبوها ثقفى فخطبها على عاصم بن عمر ، وزوجها منه ، وولد له منها أم عاصم ، فتزوجها عبد العزيز بن مروان ، فولدت له عمر بن عبد العزيز بن مروان رحمة الله عليه . وهذا جزاء صدقها ومكافأة لها على سابق معروفها

(روضة العقلاء)

أصدق من قطاة

يحكى أن قطاة تنازعت مع غراب فى حفرة يجتمع فيها الماء ، وادعى كل واحد منهما أنها ملكه ، فتحاكما إلى قاضى الطير . فطلب بينة . فلم يكن لأحدهما بينة يقيمها . فحكم القاضى للقطاة بالحفرة . فلما رأته

قضى لها بها بدون بينة ، والحال أن الحفرة كانت للغراب . قالت له أيها القاضى ، ما الذى دعاك لأن حكمت لى وليس لى بينة ؟ وما الذى آثرت به دعواى على دعوى الغراب ؟

فقال لها : قد اشتهر عنك الصدق بين الناس حتى ضربوا المثل بصدقك ، فقالوا أصدق من قطاة ، فقالت له : اذا كان الأمر على ماذكرت ، فوالله ان الحفرة للغراب ، وما أنا ممن يشتهر عنه خصلة جميلة ويفعل خلافها ، فقال لها : وما حملك على هذه الدعوى الباطلة ؟

فقالت : ثورة الغضب ، لكونه منعنى من ورودها ، ولكن الرجوع إلى الحق أولى من التمادى فى الباطل ، ولأن تبقى لى هذه الشهرة ، خير لى من ألف حفرة « روضة المدارس »

سلطان الحق يقهر سلطان الملك

روى عن مالك بن أنس رضى الله عنه أنه قال :

بعث الىّ أبو جعفر المنصور وإلى ابن طاوس ، فدخلنا عليه وهو جالس على فرش قد نضدت له (وضع بعضها بجانب بعض) وبين يديه أنطاع (بسط من الجلد) قد بسطت وجلاد (سيّاف) بأيديهم السيوف لضرب رقاب الناس ، فأومأ الينا بالجلوس ، وأطرق عنا طويلا ثم التفت إلى ابن طاوس ، فقال له : حدثنى عن أبيك

قال : نعم . سمعت أبي يقول : قال رسول الله ﷺ ان أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله فى حكمه ، فأدخل عليه الجور فى عدله .

قال مالك : فضممت ثيابى مخافة أن يملأنى دمه

ثم التفت اليه أبوجعفر فقال : عظنى يابن طاوس

قال نعم . أما سمعت الله يقول : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (إلى قوله) ٱلَّذِينَ طَغَوْا فِي ٱلْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا ٱلْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ »

قال مالك : فضممت ثيابى مخافة أن يملأنى دمه ، فأمسك المنصور ساعة ، ثم قال : يابن طاوس ناولنى الدواة

فأمسك ابن طاوس ولم يناولها إياه وهى فى يده

فقال : ما يمنعك أن تناولنيها ؟

قال : أخشى أن تكتب بها معصية فأكون شريكك فيها

فلما سمع المنصور ذلك قال : قوما عنى

قال ابن طاوس : ذلك ما كنا نبغى

قال مالك : فما زلت أعرف بعدها لابن طاوس فضله

« العقد الفريد »

الحق ينطق المظلوم

حاس المأمون يوما للنظر فى مظالم الرعية ، فكن آخر من تقدم اليه وقد همّ بالقيام ، امرأة عليها ثياب رثة ، فوقفت بين يديه وقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فنظر المأمون الى يحيي ابن

فقال لها يحيي : وعليك السلام ، يا أمة الله ، تكلمى فى حاجتك . فقالت

يا خير مُنتصف يهدى له الرشَد ويا إماماً به قد أشرق البلد

تشكو اليك عميدَ القوم أرملة عدا عليها فلم يُترك لها سَبَدُ

وابتزَّ منى ضياعى بعد مَنعتها ظلماً وفرّق عنى الأهل والولدْ

فأطرق المأمون حينا ثم رفع رأسه اليها وهو يقول :

فى دون ما قلتِ زال الصبر والجلد

عنى وأقراح منى القلب والكبد

هذا أوان صلاة العصر فانصرفى

وأحضِرى الخصم فى اليوم الذى أعد

والمجلس السبت أنْ يقضى الجلوس لنا

نُنصِفك منه وإلا المجلس الأحد

فلما كان يوم الأحد ، جلس ، فكان أول من تقدم اليه تلك المرأة

فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله و بركاته

فقال : وعليك السلام ، أين الخصم ؟

فقالت : الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين ، وأومأت إلى العباس ابنه .

فقال : يا أحمد بن أبي خالد خُذ بيـده فأجلسه معها مجلس الخصوم فجعل كلامها يعلو كلام العباس ، فقال لها أحمد بن أبي خالد : يا أمة الله أنك بين يدى أمير المؤمنين، وانك تكلمين الأمير فاخفضى من صوتك

فقال المأمون : دعها يا أحمد فأن الحق أنطقها وأخرسه

ثم قضى لها برد ضيعتها اليها ، وأمر بالكتاب لها الى العامل ببلدها أن يُوفر لها ضيعتها ويحسن معاونتها ، وأمر لها بنفقة

« معراج البيان »

المثل الاعلى

لاحترام القانون ، وقول الحق

أُستدعى صاحب الدولة المرحوم حسين رشدى باشا رئيس الحكومة المصرية الى المحكمة ، لتأدية واجب الشهادة فى قضية ، فلم يتخلف عن الحضور ، ولم ينتحل عذراً يقيله من الذهاب الى المحكمة ؛ بل جاء

رئيس الحكومة يحمل بين جنبيه احتراما ممتازاً للقضاء ، فدخل أمام حضرة القاضى وأدّى واجب التحية ؛ ثم أخذ يسرد شهادته بما أوتيه من قوة الحجة والبلاغة ؛ فلما طلب الى دولته الجلوس أبى إلا أن يكون واقفاً يجيب على كل سؤال يوجه اليه من القضاء والنيابة والمحاماة امتثالا لقوله تعالى « وَمَنْ يَكْتُمْهَا فإنه آثِمٌ قَلْبُهُ » حتى إذا ما انتهى من الشهادة ، وهو واقف على قدميه ، والناس جلوس ، رغب فى الخروج من حيث أتى ، فكان خروجه أدعى الى الإعجاب منه فى وقوفه ، إذ حيّا دولته المحكمة بالتعظيم العسكرى ، وانصرف على أعقابه كما تنصرف الرعية من أمام الملوك ، فكان هذا المنظر السامى من أجل ما وقع عليه الأنظار ، وكان للحاضرين من دولة الرئيس المثل الأعلى والقدوة الحسنة لاحترام القانون ، وقول الحق

حكايات وأمثال فى سوء عاقبة الكذب

خرج البخارى رضى الله عنه يطلب الحديث من رجل فرآه قد هربت فرسه وهو يشير اليها بردائه كأن فيه شعيرا فجاءته فأخذها . فقال للرجل : أكان معك شعير ؟ قال لا . ولكن أوهمتها . فقال البخارى : لا آخذ الحديث عمن يكذب على البهائم .

« نزهة المجالس »

ليس لكذوب صديق

حكى أن راعى غنم كان يحرس غنمه بالقرب من غابة بها ذئاب كثيرة . فصاح مرة بأعلى صوته قائلا : الذئاب ! الذئاب ! الذئاب تحاول أن تفترس الغنم . ففزع اليه جماعة من البلدة فوجدوه يمزح . فرجعوا من حيث أتوا .

ثم نادى مرة أخرى : ففزعوا لنجدته ، فوجدوه يسخر منهم كالمرة الأولى ، فعادوا إلى أماكنهم بعد أن وبخوه على كذبه ؛ لأنه عطلهم من أعمالهم . وفى المرة الثالثة عدا الذئب على الغنم حقاً فنادى مستغيثا فلم يسعفه أحد ؛ لأنهم اعتقدوا فيه الكذب ، فأكل الذئب الغنم ، وكان

جزاؤه الكدر والغم . وفى ذلك ضرب المثل : الكذوب لايصدق ولو قال صدقا .

سوء عاقبة الكذب

روى الرواة لنا عمّن رعى غنماً حكايةً ذكرها قد ذاع وانطلقا
آتيت اتحفكم نظماً بها وعسى فى ذاك ما يستحق الحبر والورقا
يقال قد كان راعٍ قرب بلدته يرعى على المرج من أغنامه فرقا
اذا به صاح فى الأهلين داهمنى ياناس ذئب وأبدى الخوف والقلقا
فاسرع الناس هذا أشهرت يده مسدساً وحساماً غيره امتشقا
حتى اذا بلغوه لم يروا أثراً للذئب فالقول منهُ كان مختلقا
لذاك عادوا وعمّ الغيظ أجمعهم وبعضهم دون شكٍّ ذيله حرقا
لكنما هزأ الراعى بخفتهم وكان يضحك حتى منهم انفلقا
حتى اذا الذئب يوماً جاءه ومضى دور المزاح فأعلى صوته زعقا
ألذئب! ألذئب! ياقومى وإذ سمعوا ما قال لاأحدٌ منهم به وثقا
فكان ان ترك الراعى فداهمه ذئب وأعضاءه من جسمه مزقا
فاحذر من الكذب فالكذاب محتقر يظنه الناس كذّابا وان صدقا

(رستم)

كم كاذب أضحى قتيل كذبه

نزل صبي بالنيل في فصل الصيف ليغتسل وكان ماهرا في السباحة فكان يغوص في الماء تارة، ويطفو فوقه تارة أخرى. ويبدى من الأعمال ما يدلّ على مهارته وطول باعه . فاختبط مرة في الماء وصرخ قائلا أغيثوني ! أدركوني ! مظهراً أنه على وشك الغرق

فبادر اليه أصحابه ومدّوا اليه يد المساعدة وجذبوه إلى الشاطئ . فلما خرج من الماء سخر منهم وتهكّم عليهم قائلا : انما قصدت بذلك المزاح ولم أقع في خطر مّا .

فلما كان الغد صرخ كما صرخ بالأمس أغيثوني ! أدركوني ! لقد أشرفت على الهلاك ؛ فضحك أصحابه ولم يهتموا بأقواله

فما لبث أن توارى عن الأنظار فظن رفقاؤه أنه يفعل مافعل بالأمس وعما قريب يطفو فوق الماء . ولكن وا أسفاه ! لم يظهر ولم يطف !

لأنه صرخ والخطر محدق به ولم يغثه أحد . لأن الناس ظنوه يكذب كعادته فغرق ومات ضحية كذبه .

عقاب الكذاب

قال أبو إسحاق الثعالبي : كان لقمان من أهون مماليك سيده عليه

فبعثه مع عبيد له إلى بستانه يأتونه بشىء من الثمر ، فعادوا اليه ولم يكن معهم شىء وقد أكلوا الثمر وأفهموا بذلك لقمان .

فقال لقمان لمولاه :

ان الحق لابد أن يظهر ، ولا تخفى على الله خافية ، فاسقنى وإياهم ماء تقياً ثم أرسلنا لنعدُوَ

ففعل ، فجعلوا يتقيئون تلك الفاكهة، ولقمان يتقيأ ماء ، فعرف مولاه صدقه وكذبهم ، وعاقبهم على سوء فعلهم

من ترك الكذب ، نجا من الذنب

تقدم إلى رسول الله ﷺ رجل يريد الإسلام فبعد أن نطق بالشهادتين قال :

انى أقترف من الذنوب يا رسول الله ما لا أستطيع تركه ، فقال له الرسول : هل تعاهدنى على ترك الكذب ؟ قال : نعم

ثم عاهده على ذلك وانصرف وهو يقول فى نفسه : ماأهون ما طلب منى هذا النبى الكريم

فلما أراد الرجل بعد ذلك أن يسرق قال فى نفسه : إن سرقت وسألنى الرسول فماذا يكون جوابى ؟ إن أجبت بنعم . فقد حقّ علىّ العقاب وان أجبت بلا . فقد كذبت . وقد عاهدنى على ترك الكذب . إذن

فخير لى آن أبتعد عن السرقة ، فابتعد عنها .

وصار بعد ذلك يتذكر عهده كلما حدثته نفسه بارتكاب إثم ، فيبتعد عنه ، حتى صلح حاله وأصبح من خيار الناس العاملين على نصرة الحق والدين والتمسك به وبفضائله . « القراءة الرشيدة »

لا تنطق بغير ما يعقل

التاجر وصديقه

سافر تاجر فأودع صديقه كمية من الحديد ، فلما عاد من سفره طلب وديعته من صديقه ، فقال له : ان الحديد قد أكلته الجرذان

فقال التاجر : كيف هذا ؟ أنا ما سمعت أبداً أن حديدا تأكله الجرذان

فقال له الصديق : هذا ما وقع

فخرج التاجر مغضبا ، فصادف ابن صديقه فأخذه ومضى؛ ولما بحث الرجل عن ابنه ولم يجده حزن وتكدر ، وصار يسأل عنه حتى رأى التاجر فسأله . فقال : قد رأيت بازيا اختطف صبيا ولعله ولدك

فصاح الرجل قائلا : هل سمعتم ياقوم أن بازيا يختطف صبيا ؟

فقال التاجر لا غرابة فى هذا ، فان أرضا تأكل جرذانها الحديد ،

ليس بعجيب أن تختطف بازائها الفيلة ، فبهت الرجل ورد الحديد لصاحبه ، ورد التاجر له ابنه فما أحسن الصدق وأجمله ! وما أقبح الكذب واشنعه !

التاجر الكذاب والقاضي النبيه الذكي

حدث في إحدى مدن أوربة أن تاجراً فقد هميانا [1] به أربعمائة دينار ، فاستأجر مناديا ينشده في الأسواق ويقول :

من وجد هميانا صفته كذا وكذا فله نصف ما فيه حلالاً سائغا إذا ردّه الى صاحبه .

وكان قد التقطه ملاّح فقير . فدفعته أمانته وكرم نفسه الى أن يخبر المنادى أنه وجده . فذهب به الى صاحب الكيس فحمله لؤم نفسه أن يغدر بالملاّح ، ويخلف وعده

فقال : ان الهميان كان فيه زمردة ثمينة فهل هي فيه ؟ فدهش الملاّح وأدرك كيده وأنه يريد حرمانه . فاختصما وترافعا الى القاضي .

فسأل القاضي الملاّح عن الزمردة ، فأقسم أنه لم يجد الا الدنانير

(١) الهميان وعاء للنقود كالحزام يتخذ من جلد ونحوه ويشد على الوسط وهو المعروف عند العامة (بالكمر)

فسأل التاجر عن أوصاف الزمردة ، فتلعثم ، وأخـذ يتخبط فى قوله .
فأدرك القاضى مكره وخبث نيته وقال :

ياهذا ، تقول أنك فقدت هميانا فيه زمردة صفتها كذا وكذا . وما فى هذا الهميان زمردة ، فليس به فانشد هميانك الذى فيه الزمردة علك تجده ؛ ثم التفت الى الملاّح وقال له : احفظ هذا الهميان أربعين يوما ، فاذا لم يحضر من يسألك عنه فهو لك .

العاقل لا يكذب

حكى أن القديس توما اللاهوتى بينما كان ذات يوم فى حجرته مشتغلا بمباحث هامة إذ دخل عليه أحد رهبان الدير بغتة وقال له :

يا أبانا ، يا أبانا ، فقال : مالك يا أخى ؟

قال : قم سريعا وانظر حمارا يطير

فقام فى الحال وخرج معه وأخذ يتفرس و يقول : أين هو ؟

فقال الراهب : عجبا يا أبانا ، هل صدقت ما قلته لك ؟

قال : نعم أصدق أن الحمار يطير ، ولا أصدق أن الراهب يكذب
فخجل الراهب وانصرف موبخا ضميره على كذبه

حبل الكذب قصير

سرق فرس لفلاح ، فأتى ثانى يوم سوق الخيل ليبتاع فرسا آخر ، فرأى بين الخيل فرسه . فعرفه وقبض عليه قائلا : هذا فرسى وقد سرق منى ليلة أمس

فقال صاحب الخيل : أنت مخطئ ياصاحبى كان عندى منذ أكثر من سنة فلربما أنت مشتبه فيه

فوضع الفلاح يديه على عينى الفرس وقال :

قل لى من أى عين لا يبصر ان كان هذا لك ؟

فارتبك اللص وبعد هنيهة قال : من عينه اليسرى

فقال الفلاح : لا . ليس كذلك .

فقال اللص : لا قد سهوت فانه لا يبصر من عينه اليمنى

فرفع الفلاح يديه عن عينى الفرس وصاح قائلا :

لقد ظهر الآن أنك لص كذاب محتال ؛ لأن الفرس سليم البصر من العينين ، وأخذ فرسه وانصرف . أما اللص فباء بخزى شديد

الأماني الكاذبة

كان صيادان يجولان معا فسمعا بوجود دبّ سمين جدا في غابة فقالا : لابد من صيده والاستيلاء عليه قريبا .

فمن ثمّ كانا يواظبان على الذهاب الى الغابة ليرصدا الدبّ ويرجعان في المساء الى فندقهما . وكانا مع إفلاسهما يأكلان دائما أجود الطعام ويشربان أفخر الشراب ، ويقولان لصاحب الفندق إن ثمن جلد الدبة يكفي لوفاء ماعلينا من ثمن الأكل والشرب ، وبينما هما يطوفان في الغابة ذات يوم نظرا الدبّ مقبلا عليهما يعج عجيجا هائلا ، فصوّب أحدهما نحوه بندقيته وأطلق عليه النار ، ولكن لشدة خوفه منه أخطأ المرمى ولم تصبه الرصاصة فتسلق شجرة كبيرة

أما الثاني فلم تنطلق بندقيته فانطرح على الأرض ، وحبس نفسه واستمات فأتاه الدبّ يشمه ، ثم ابتعد عنه بدون أن يؤذيه ، لأنه من المعلوم أن الدبّ لا يمس جثث الموتى مطلقا

ولما صار بعيدا عنهما نزل الأول من أعلى الشجرة وأراد أن يضحك و يسخر برفيقه فقال له : خبرني بما قاله لك الدبّ في أذنك

فأجابه : قال لي ، لاينبغي أن يباع جلد الدبّ قبل قتله . ولا ينبغي التمسك بالأماني الكاذبة

الادعاء الكاذب

علم صبي بوجود أمير في حديقة فتوجه اليها ودخل فيها وجلس بجانب شجرة ، ولما مر الأمير به صرخ قائلا : وا أسفاه ! لقد ضاع كيس دراهمي ، وأخذ يبكي وينتحب ؛ فلما سمع الأمير صراخه ، ورأى بكاءه اقترب منه ، وأخذته الشفقة عليه، وأخرج من جيبه كيسا مملوءاً بالدراهم وقال له :

هل هذا هو الكيس الذي أضعته يا غلام ؟

فأجابه الولد الخبيث : نعم ياسيدي، هو كيسي بعينه، ومدّ يده ليأخذه ؛ ولكن السيد الذي كان يرافق الأمير دنا من الغلام وقال له بصوت غليظ : كيف تجاسرت أيها الكذاب الوقح على الحضور أمام مولاك لكي تغشه وتدعي كذبا أن هذا الكيس هو كيسك الموهوم ، مهلاً فاني سأريك نتيجة كذبك ، قال هذا وقطع فرعا من الشجرة وأخذ يضرب هذا الولد الخائن عقابا له على كذبه ، ففرّ من أمامه متحسراً نادما على مافعل .

احترس من الدجالين الكذابين

من غريب مايروى عن حيل الدجالين أن دجّالا اتفق مع زميل له على إحكام حيلة يكسبان بها مبلغا من المال جسيما . فدخل أحدهما فندقا كبيرا كأحد السائحين الأغنياء ، يلبس فاخر الثياب . ويظهر

بمظاهر العظماء ، وجلس إلى مائدة الطعام ذات يوم يتناول العشاء .
ولم يكد يتناول أول لقمة منه حتى ضج بالصراخ شاكيا ألما مفاجئا
حلّ بأضراسه ، وأحكم تمثيل هذا المنظر منظر المتألم الصارخ من أشدّ
الآلام ، وأوجع الأمراض . والتفّ الناس حوله يسعفونه بالعلاج
وهيهات أن تنفع لهم فى تسكين آلامه حيلة . وبينا هو كذلك والناس
من حوله إذا برجل دخل وجلس بالقرب من ذلك السائح وأخذ
يستفسر عن الحالة التى يشكو منها فقيل له إن مرضا مفاجئا وألما شديداً
أصابه فى أضراسه جعله يشكو ويتاوى كما ترى

فتقدم اليه الرجل يحمل علبة صغيرة من صندوق كان معه وأخرج
منها مسحوقا أبيض وأشار على السائح أن يضع منه على موضع الألم ففعل
ولم يكد ينتهى من وضعه حتى تظاهر بالراحة وسكون الألم .

وعجب الناس من فائدة هذا الدواء الشافى وتقدموا إلى هذا الطبيب
الماهر يسألونه أن يبيعهم من دوائه

ولما اشترى كل منهم علبة وذهب إلى شأنه وهو يعتقد أنه ظفر بأثمن
دواء وأضمن شفاء .

وشكا بعد أيام أحد هؤلاء ألما فى ضرسه فعمد إلى الدواء يسكن به
ألمه فلم يجد ولم ينفع

وهنا ظهر لهم أن المريض والطبيب معاً ليسا إلا من جماعة المحتالين

الذين يحتالون على الناس لابتزاز أموالهم بطرق الغش والخداع . وما لبثا حتى قبض عليهما ونالا جزاءهما . وفى ذلك عبرة لمن أراد أن يعتبر .

كذب المنجمون ولو صدقوا

من الناس من يحترفون حرفا لاتعتبر مزاولتها إلا احتيالا على العيشة بطرق ليست من الشرف ، ولا يرضى بمثل هذه المعيشة إلا أوغاد الناس ومن هؤلاء المنجمون الذين يدّعون معرفة الغيب بالتنجيم (ولا يعلم الغيب غير الله) .

روى بعضهم أن منجما ممن يتجولون فى البلدان نزل بقرية أهلها من العرب ، وأخذ يطوف طرقها حتى أتى الى دار من أحسن الدور منظرا فوقف بالباب وطلب من أصحاب البيت إيواءه وإطعامه

ولما كانت الضيافة عند العرب من المزايا التى يفاخرون بها غيرهم ويعتقدون أنها من جملة القرب التى ترفع فاعلها عند الله أنزلوه على الرحب والسعة وأكرموا مثواه

وفى أثناء إقامته بينهم رأى طفلا صغيرا فى مهده فجلس المنجم وطلب دواة وقرطاسا وأخذ يكتب طويلا وربّ البيت يتوقع فراغه من حين

إلى حين كى يحييه التحية التى اعتادها العرب مع نزلائهم . وبعد فراغه نظر إلى ربّ البيت وقال : علمت بالتنجيم أن ابنك هذا سيكون من أسعد الرجال وأكبرهم قدرا ، ولسعادته يتولى رياسة الجيش وتنتصر البلاد على يديه فى غزوات هامة عديدة ، وأنه سينال أعظم ألقاب الشرف حتى يكون عَلَمًا يشار اليه بالبنان، ويهابه كل الناس فى جميع الأقطار.

فقطع عليه الأب الكلام وقال : انما الطفل الذى تتكلم عنه بنت فأمسك المنجم، وشعر بالخزى ، ورحل . «القراءة الرشيدة»

الاعرابى وابنه الكذاب

قال أعرابى لابنه وسمعه يكذب :

يا بنى ، عجبت من الكذاب المُشيِّد بكذبه ، وانما يَدلُّ على عيبه ويتعرض للعقاب من ربه ؛ فالآثام له عادة ، والأخبار عنه متضادة ؛ إن قال حقًّا لم يُصَدَّقْ ، وان أراد خيرا لم يُوفَّق ، فهو الجانى على نفسه بفعاله ، والدال على فضيحته بمقاله ؛ فما صَحّ من صدقه نُسب الى غيره وما صح من كذب غيره نُسب اليه ، فهو كما قال الشاعر :

حسب الكذوب من المها نة بعض ما يُحكى عليه

فاذا سمعت بكذبة من غيره نُسبت اليه

حكايات وأمثال

فى ذكاء الأطفال

١ – دخل المأمون بعض الدواوين فرأى غلاما صغيرا على أذنه قلم فقال : من أنت ياغلام ؟

فقال : أنا يا أمير المؤمنين ، الناشئ فى دولتك ، المتقلب فى نعمتك ، المؤمل لخدمتك ، خادمك وابن خادمك ، الحسن بن رجاء

فقال : أحسنت ياغلام ، وبالاحسان فى البديهة تتفاضل العقول ، وأمر أن ترفع رتبته

٢ – قيل : إن المأمون تكلم فأحسن

فقال يحيى بن أكثم : ياأمير المؤمنين ، جعلنى الله فداك ، ان خُضنا فى الطب ، فأنت (جالينوس) فى معرفته ، أوفى النجوم ، فأنت (هرمس) فى حسابه ، أو فى الفقه ، فأنت (على بن أبى طالب) عليه السّلام فى علمه ، وإن ذكر السخاء كنت (حاتما) فى جوده ، أو الصدق ، فأنت « أبو زيد » فى صدق لهجته أو الكرم فأنت (كعب) فى إيثاره على نفسه ، أو الوفاء فأنت « السموءل بن عاديا » فى وفائه

فاستحسن قوله وتهلّل وجهه

وكان المأمون ماهرا فى جميع الفنون ، كاشفا عن كل سرّ مكنون

٣ - بين ملك عربى وغلام عربى :

مرّ أحد الملوك بغلام عربى يسوق حيوانا بعنف وشدة ، والحيوان بطىء الحركة ، قليل الهمة ، فقال الملك : ياغلام ارفق بهذا الحيوان

فقال الغلام العربى : أيها الملك ، فى الرفق به مضرّة له

فقال الملك : وكيف ذلك ؟ وانى لا أرى مضرة غير الذى هو فيه الآن

قال الغلام : ذلك أنه اذا أبطأ يطول طريقه ، ويشتد جوعه ، ففى العنف إحسان اليه

فقال الملك : وما الاحسان اليه ؟

قال الغلام : يخف حمله ، ويطول أكله

فأعجب الملك بجوابه وكافأه

فقال الغلام : هو رزق مقدور ، وواهب مأجور

فقال الملك : قد أمرتُ باثبات اسمك فى بطانتى

فقال الغلام : كفيت مؤونة ، ورزقت بها معونة

فقال الملك : ولولا حداثة سنك لاستوزرتك

قال الغلام : لن يعدم الفضل ، من رزق العقل

قال الملك : وهل تصلح لذلك يا غلام ؟

قال الغلام : انما يكون المدح والذم بعد التجربة ، ولا يعرف الانسان نفسه حتى يبلوها .

٤ – مرّ عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) على صبيان يلعبون فتفرقوا من هيبته ولم يبرح عبد الله بن الزبير

فقال له . مالك لاتبرح ؟

فقال : ما الطريق ضيقة فأوسعها لك ، ولا لى ذنب فأخافك ، فسرّ من صراحته ، وشهامته ، وكافأه

٥ – مرّ أحد الأمراء على صبيان يلعبون بالكرة ، فوقعت عينه على صبي ذكى منهم فخطف طربوشه ، وأخذ يدلل عليه ليبيعه ، فسأل الصبي : بِكَم تشترى هذا الطربوش ؟ فأجابه فى الحال بمائة درهم . قال له الأمير : أيستحق كل هذا الثمن ؟

قال الصبي : نعم ، إن طربوشا صغيراً مثل هذا ، دلّاله أمير الأمراء ، لابد أن يكون غالى الثمن .

فسرّ من نجابته ، وأمر بمكافأة أهله ، ونصحهم بالاعتناء بتربيته ، لما رآه عليه من سمات النجابة والذكاء

٦ – دخل الرشيد داروزيره فقال لولد له صغير : أيما أحسن ، دارنا أو داركم ؟ قال : دارنا . فقال الرشيد : لِمَ ؟ قال الولد :

لأنك فيها يا أمير المؤمنين . فسرّ منه

٧ - قال المعتصم للفتح بن خاقان وهو صبى : أرأيتَ يا فتح أحسن من هذا الخاتم ؟ قال نعم يا أمير المؤمنين ، اليد التى هو فيها أحسن منه ، فتعجب المعتصم من ذكائه ، وسرعة خاطره ، وانتزع الخاتم من يده وكافأه به

٨ - رأى رجل صبياً ومعه سلّة مغطاة بمنديل فقال له :

أخبرنى يا بنىّ ما فى هذه السلة ؟

فقال على البديهة : لو أرادت أمى أن يعرف كل واحد ما فيها ما غطتها بهذا الغطاء . فخجل الرجل وأعجب بذكاء الصبى

٩ - سأل هارون الرشيد ولده المأمون ، وكان أنجب أولاده أن يكتب كتابا بتولية جوهر الصقلى على مصر فكتب :

السيف بحدّه ، والقلم بمدّه ، والعبد بسعده ، لا عن أبيه ولا عن جدّه ، قد وليناك على مصر

فأعجب الرشيد كثيراً من فطانته وبلاغته ، وكافأه مكافأة عظيمة

١٠ - كان عبد الله المأمون يقرأ على الكسائى والمأمون اذ ذاك صغير . وكان من عادة الكسائى ، اذا قرأ عليه المأمون يطرق رأسه فاذا غلط المأمون رفع الكسائى رأسه ونظر اليه فيرجع المأمون الى الصواب

فقرأ المأمون يوما سورة الصف فلما قرأ :

فقال : يا بنى أخشى أن ينكسر قلبك فى يوم العيد اذا رآك الصبيان بهذا القميص الخلِق

فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه ، أو عَقّ أمه وأباه ، وانى أرجو أن يكون الله راضيا برضاك .

فبكى عمر رضى الله عنه وضمه اليه ، وقبّل مابين عينيه ، ودعا له ، فكان أغنى الناس بعد أبيه

١٦ – رأى أحد الفضلاء صبياً ذكياً بأصبعه خاتم فسأله : إنى أرى فى أصبعك خاتما جيلاً وعليه اسم المرحوم والدك ، فكيف فزت بهذا الأثر النفيس دون إخوتك ؟

فأجابه فى الحال : تعبت فى الحصول عليه لتصبح الأسرة فى خنصرى

١٧ – نظر المأمون الى بعض ولده وهو يقرأ فى كتاب فقال : يابنى ما كتابك هذا ؟

قال : بعض ما يشحّذ الفطنة ، ويؤنس من الوحشة

فقال : الحمد لله الذى رزقنى فتى يرى بعين عقله أكثر مما يرى بعين وجهه

١٨ – مرّ فارس بغلام فقال : يا غلام أين العمران ؟ قال : اصعد الرابية تشرف عليهم ، فصعد فأشرف على مقبرة ، فقال : ان الغلام

لجاهل أو حكيم ، فرجع فقال للغلام سألتك عن العمران ، فدللتنى على مقبرة

فقال : انى رأيت أهل الدنيا ينتقلون الى تلك ، ولم أر أحداً انتقل الى هذه ؛ وانما النقل من الخراب الى العمران ؛ ولو سألتنى عما يواريك ودابتك لدللتك عليه

١٩ – قحطت البادية فى أيام هشام بن عبدالملك فقدمت اليه العرب فهابوا أن يتكلموا وكان فيهم (درواس بن حبيب) وهو اذ ذاك صبى ، فوقعت عليه عين هشام فقال لحاجبه : ما يشاء أحـد يدخل علىّ إلّا دخل حتى الصبيان

فوثب درواس ووقف بين يديه فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه أصابتنا سنون ثلاث : سنة أذابت الشحم ، وسنة أكلت اللحم ، وسنة مصّت العظم ، وفى أيديكم فضول أموال ، فن كانت لله فرّقوها على عباده ، وان كانت لهم فعـلاَم تحبسونها عنهم ، وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم ، فان الله يجزى المتصدقين ، ولا يضيع أجر المحسنين

فقال هشام : ما ترك لنا الغلام فى واحدة من الثلاث عذراً .

فأمر للبوادى بمائة ألف دينار ، وله بمائة ألف درهم

فقال الصبى : ارددها يا أمير المؤمنين الى جائزة العرب ، فانى أخاف أن تعجز عن بلوغ كفايتهم

فقال : أما لك حاجة ؟

فقال مالى حاجة فى خاصة نفسى دون عامة المسلمين ، فخرج وهو من أنبل القوم

٢٠ – حكى أن أم جعفر عاتبت الرشيد في مدحه للمأمون دون ولدها الأمين ، فدعا خادما وقال له : وَجّه الى الأمين والمأمون خادما يقول لكل واحد منهما على انفراد : ما تفعل بى اذا أفضت الخلافة اليك ؟

فأما الأمين فقال للخادم : أقطعك وأعطيك

وأما المأمون فانه قام الى الخادم بدواة كانت بين يديه وقال :

أتسألنى عما أفعل بك يوم يموت أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين ؟ إنى لأرجو أن نكون جميعا فداء له

فقال الرشيد لأم جعفر : كيف ترين ؟ فسكتت عن الجواب

٢١ – دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبضت ضياعهم وهو غلام صغير

فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، محمد بن عبد الملك سليل نعمتك ، وابن دولتك ، وغصن من أغصان دوحتك ، أفتأذن لى فى الكلام ؟ قال : نعم

فحمد الله تعالى وشكره ثم قال : امتعنا الله بحياطة ديننا ودنيانا ،

ورعاية أقصانا وأدنانا ببقائك ياأمير المؤمنين ، ونسأله أن يزيد فى عمرك من أعمارنا ، وفى أثرك من آثارنا ، ويقيك شر الأذى باسماعنا وأبصارنا .

هذا مقام العائذ بظلك ، الهارب الى كنفك وفضلك ، الفقير الى رحمتك وعدلك

فسرّ المأمون من فصاحته ، وأمر له بجائزة

٢٢ - كان للرشيد ولد يقال له العباس ، وكان شديد السمرة ، فأبعده الرشيد لذلك ولم يلحقه بنسبه ؛ فاتفق أن تنبأ رجل فى زمن الرشيد ، وقام يدعى النبوّة والرسالة ، فأحضر بين يدى الرشيد ، فزجره وجعل يعنفه ويتوعده ، وأبناء الرشيد مصطفون بين يديه ، وفى جملتهم العباس المشار اليه ، فأبى المتنبى الا التمادى فى ضلاله وغيّه ، فأمر الرشيد بجلده ، فلما مسّ السوط جسده جعل يضطرب ويرتعد ويقوم ويقعد ، فجاء اليه العباس وهو يومئذ لم يتجاوز العشر سنوات وقال :

ان كنت رسولا كما تزعم (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل)

فلما سمع الرشيد كلام العباس ، فرح فرحا شديدا ، واستبشر استبشارا زائدا وقال : ابنى والله ! ابنى والله ! وقرّبه منه وأدناه ، وألحقه بمرتبة من سواه

٢٣ – تقدم اياس بن معاوية وهو صبى الى أحـد القضاة ومعه شيخ فقال : أصلح الله القاضى ، هذا شيخ ظلمنى ، واعتدى علىّ وأخذ مالى

فقال له القاضى : ياهذا ارفق بالشيخ ، ولاتصادره بمثل هذا القول.

فأجابه اياس : أصلح الله القاضى ، إن الحق أكبر منى ومنه ومنك

فقال له : اسكت ولا تتكلم

فقال له : ان سكتُّ فمن يقوم بحجتى ؟

فسكت القاضى ثم قال : تكلم فوالله ما تتكلم بخير

فقال : لاإله الا الله وحده لاشريك له ، فرفع صاحب الخبر هذا الخبر فعزل القاضى وولى إياس مكانه

٢٤ – لقى غلام من غلمان العرب أبا العـلاء المعرى الشاعر الفحل فقال له : من أنت يا شيخ ؟

قال : أبو العلاء المعرى الشاعر، فقال له : أنت القائل فى شعرك :

فانى وان كنت الأخير زمانه   لآت بما لم تستطعه الأوائل

قال : نعم

فقال الغلام : ياعمّاه ، إن الأوائل قد وضعوا ثمانية وعشرين حرفا للهجاء ، فهل لك أن تزيد عليها حرفا ؟

فدهش أبو العلاء المعرى من ذلك وقال : ان هـذا الغلام لا يعيش لشدة حذقه ، وتوقد فؤاده

٢٥ - سأل رجل ولدا صغيرا ذكيا : من الذى قَبْلَ الله ؟

فأجابه الولد : عدّ لى من الواحد الى العشرة لأجيبك

فلما ابتدأ الرجل أن يعد قال له الولد : ماذا قبل الواحدِ ؟

قال الرجل : لاشىء وهو الأول

فأجابه الولد الذكى التقى ؛ قل : الله الأول والآخر ، ليس قبله ولا بعده شىء ؛ فسرّ الرجل من ذكائه ، ومدحه على تقواه

٢٦ - حكى أبو على الرازى قال : مررت بصبيان فى طريق الشام يلعبون بالتراب وقد ارتفع الغبار فقلت : مهلاً قد غبرتم فقال صبى منهم : ياشيخ أين تفرّ اذا هيل عليك التراب فى القبر ؟ فغشى علىّ ووقفت ، والصبى قاعد عند رأسى مع الصبيان يبكون ، فقلت له : أعندك حيلة فى الفرار من التراب

فقال : أنا لا أعلم ولكن سل غيرى .

فقلت : ومن غيرك ؟

قال : عقلك .

٢٧ - يحكى أن محمدعلى باشا (والى مصر) مرّ يوما فى الطريق فرأى ولدا صغيرا فى العاشرة من عمره ولكنه تبدو عليه علامات النجابة ، نشيط ، خفيف الرّوح ، فسأله . هل تعرف تقرأ ياغلام ؟

فقال الولد : نعم ، قال : فقل شيئا .

فقال الولد : « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا »

فسرّ الأمير من هذا الجواب وأعطاه جنيها ، فرفض الولد ولم يرد أن يقبل الجنيه فسأله الباشا عن سبب رفضه

فقال الولد : أخاف أن يضربنى أبى

قال : قل له ان الباشا أعطاك الجنيه

قال الولد : انه لا يصدقنى

قال : لماذا ؟

فقال الولد : لأن هذه ليست عطية الملوك

فسرّ محمد على باشا من هذا الجواب ، وأمر فى الحال أن يؤخذ فيعلم فى المدارس الأميرية مجانا

٢٨ – خرج حاكم مدينة من مدن الأرياف ليلاً يتفقد أحوال الناس فاصطدم برجل وغضب غاية الغضب ؛ ولكنه وجد الرجل معذورا لشدة الظلام فصفح عنه وعاد الى بيته .

وفى الصباح أصدر أمرا يقضى على كل سار بالليل أن يحمل فانوسا فى يده

ولمّا أقبل الليل خرج الحاكم كعادته فاصطدم بالرجل نفسه فغضب منه ونهره وقال له بصوت الحانق : كيف أمكن أن تخالف أمرى وتمشى بغير فانوس ؟

فقال الرجل : عفواً يامولاى فهذا الفانوس فى يدى .

فقال الحاكم : ولـكنه خالٍ ، وليس فيه شمع .

فقال الرجل : كذلك كان أمرك خِلواً من ذكر الشمع ؛ فذهب الحاكم وأصدر أمرا آخر فى الصباح يقضى بوضع الشمع فى الفوانيس ، وخرج فى الليل ، فصادف ذلك الرجـل مرة ثالثة فقبض عليه وقال له : الآن وقعت فى يدى ولا مفرّ لك أين فانوسك وما فيه من الشمع ؟

فقال الرجل : هاهوذا يامولاى وفيه شمعة ، ولكنك لم تأمر بإيقادها

فأدرك الحاكم أنه أخطأ مرة ثالثه وخـلىّ عن الرجـل واعتبر بهذه الحادثة حتى صارت أوامره فيما بعد غاية فى الصراحة والاحكام . وكافأه الرجل على نباهته

٢٩ - كان أحد اللصوص ماشيا فى الطريق ، فوجد صبياً صغيرا يبكى عند بئر ، فسأله اللص عن سبب بكائه . فقال : ياسيدى كنت أحمل ابريقا من نحاس لأملأه من ماء هـذا البئر فسقط فيـه ، وأنا خائف أن أعود الى أبى فيضربنى فقال اللّص وقـد طمع فى أخذ الابريق : لاتبك ياولدى ، فانا أنزل البئر وأطلعه لك فاحرس أنت ثيابى

فقال الصبى : حاضر ياعم ، ربنا يخليك

وخلع اللّصُّ ثيابه ، ونزل البئر ؛ فما كان من الولد الا أن ستولى على ثياب اللّص ومضى لسبيله

أما اللص فبعد أن بحث عن الابريق فى البئر بغير جدوى صعد الى الأرض فما وجد الصّبى ولا وجد ثيابه ، فجعل يصخب و يلعن نفسه والصبى ، وهو يقول : طمعت فى الابريق فضاعت ثيابى . ودخلت علىّ حيلة الصبى الماهر الزكى الذى يصح أن يسمى بحق شيخ اللصوص .

٣٠ - قال الأصمعى : قلت لغلام حدث من أولاد العرب كان يحادثنى فامتعنى بفصاحته وملاحته : أيسرك أن يكون لك مائة الف درهم وأنت أحمق ؟

قال : لا ، والله . قلت : ولِمَ ؟ قال : أخاف أن يجنى على حمقى جناية تذهب بمالى ، ويبقى على حمقى .

٣١ - تكلم رجل عند عبدالملك بكلام ذهب فيه كل مذهب فقال له وقد أعجبه : ابن من أنت يا غلام ؟

فقال : ابن نفسى يا أمير المؤمنين التى نلت بها هذا المقعد منك

قال : صدقت ، وعجب من حدة ذهنه ، وكمال أدبه

٣٢ - دخل ولد صغير ، على فليسوف كبير ، وطلب اليه أن يعطيه جمرة نار ، ولم يكن معه وعاء يأخذ فيه النار . فتعجب من أمره وقال له : كيف تأخذ النار وأنت لم تأت بوعاء لها ؟

قال : قد جئت بالوعاء . قال هذا وغرف رماداً ملء كفه وقال : ضع النار هنا ؛ أرأيت ما أحسن هذا الوعاء !

فتعجب الفليسوف من فطنته وذكائه وقال : حقاً ان الانسان العالم الكبير قد يحتاج للتعلم من الصغير .

٣٣ - قال ثُمامة بن أشرس أحد كبار المتكلمين من المعتزلة فى زمن المأمون : دخلت على صديق لى أعوده وتركت حِمارى على الباب ولم يكن معى غلام . ثم خرجت واذا بصبى عليه فقلت : أتركب حمارى بغير اذنى ؟

قال : خِفت أن يذهب فحفظته لك .

قلت : لو ذهب ماباليت بذهابه

قال : فاذا كان هذا رأيك فى الحمار فاعمل على أنه قد ذهب وهَبه لى واربح شكرى .

فلم أدر ما أقول .

٣٤ - هرب عبد الملك من الطاعون فركب ليلاً وأخرج غلاما معه وكان ينام على دابته فقال للغلام حدثنى .

فقال : ومن أنا حتى أحدثك ؟

فقال عبد الملك : على كل حال حدث حديثا سمعته

فقال : بلغنى أن ثعلبا يخدم أسداً ليحميه ، ويمنعه ممن يريده ، فكان يحميه ، فرأى الثعلب عقاباً فلجأ الى الأسد فأقعده على ظهره ،

فانقض العقاب واختلسه ، وصاح الثعلب : يا أبا الحارث أغثنى واذكر عهدك لى .

فقال : انما أقدر على منعك وحمايتك من أهل الأرض ؛ وأما أهل السماء فلا سبيل لى اليهم

فقال عبد الملك للغلام : وعظتنى وأحسنت ، انصرف ، فانصرف ورضى عبدالملك بقضاء الله وقدره

٣٥ – خرج المأمون يوما الى الصيد فى كوكبة من الحرس فلاحت له طريدة فأطلق عنان فرسه حتى أشرف على مجرى ماء من نهر الفرات ، فاذا هو بفتاة عربية قد أعطيت من كل شىء أحسنه ، وبيدها قربة قد ملأتها ماء وصعدت بها من ضفة النهر فانحل وكاؤها (القربة) فصاحت برفيع صوتها : يا أبتِ أدر فاها ، قد غلبنى فوها ، لاطاقة لى بفيها . فأخذ المأمون العجب لفصاحتها وجيل غنتها فقال مخاطبا لها : ياجارية ممن أنت ؟

الفتاة : من بنى كلاب

المأمون : وما الذى حملك أن تكونى من الكلاب ؟

الفتاة – والله لست من الكلاب ؛ وانما أنا من قوم كرام غير لئام ، يقرّون الضيف ، ويضربون بالسيف ، ولكن يا فتى من أى الناس أنت ،

المأمون - أوعندكم علم بالأنساب ؟

الفتاة - نعم

المأمون - من مضر الحمراء

الفتاة - من أى مضر

المأمون - من أكرمها نسباً ، وأعظمها حسباً

الفتاة - أظنك من كنانة ، فمن أى كنانة ؟

المأمون - من أكرمها ولداً ، وأشرفها محتداً

الفتاة - أنت من قريش ، فمن أى قريش ؟

المأمون - من أجلها ذكراً ، وأعظمها فخراً

الفتاة - أنت والله من بنى هاشم ، فمن أى هاشم ؟

المأمون - من أعلاها منزلا ، وأشرفها قبيلة ، ممن تهابه هاشم وتخشاه

فاحنت الفتاة رأسها اجلالاً ، وأقبلت بوجهها وقالت :

السلام عليك يا أمير المؤمنين .

فطرب المأمون طرباً شديدا ، وثمل برحيق أدبها ، وسريع بديهتها ثم نزل ، ريثما حضر الحرس وأنفذ خلف والدها وخطبها اليه وأخذها وعاد بها مسرعا الى دار الخلافة فرحا مسرورا كأنه ملك الدنيا ومن فيها فكانت الفتاة أم ولده العباس . فلولا ما تحلت به الفتاة من رجاحة

العقل ، وفصاحة اللسان ، وكمال الجمال ، وكريم الشيم ، ومحاسن الخصال وما ارتدت به من فضيلة الأدب ، ولين الخطاب ، وسرعة الجواب ، لما صارت شمساً مضيئة فى قصور الخلفاء

فهلموا الى حياض الأدب ، فانهلوا منها ، واعلموا : أن سلسلة من أدب الفكر ، خير من سلسلة من ذهب فى الصدر

(محادثات الملوك)

خلاصة سير بعض الأنبياء

عليهم الصلاة والسلام

المذكورين فى منهج وزارة المعارف

١ — قصة سيدنا نوح

أرسل الله نوحا الى قومه ، وكانوا يعبدون الأصنام فأمرهم أن يعبدوا الله فلم يستمعوا قوله واتفقوا على أذاه ، وكان كلما ينصحهم يضعون أصابعهم فى آذانهم لئلا يسمعوا ، ويغطون وجوههم كراهة النظر اليه واستمر على هذه الحالة تسعمائة وخمسين سنة ، ثم أمره الله أن يصنع الفلك ؛ فعملها طبقات على حسب الحيوانات من خشب الأبنوس .

ثم بعد ذلك دعا نوح على قومه ، فأجاب الله دعاءه وأمره أن يأخذ من جميع الحيوانات ذكرا وأنثى ، وأن يأخذ كل صنف من النباتات وأن يأخذ من آمن به ؛ ففعل كما أمر وأخذ ما يكفيهم من الزاد مدة ستة أشهر ، وأوحى الله اليه أن يركب فى السفينة وقت مايفور الماء من التنور (الفرن) فعندذلك خرج وركب ونادى من آمن ، فحضروا وكانوا أربعين نفسا

« نصيحته لابنه ونتيجة مخالفة أوامر الوالدين »

وخرج عن طاعته ولده كنعان فقال له :

« يابُنَيَّ اركَبْ معنا ولا تكن مع الكافرين »

فأجابه بقوله « سآوِي الى جبل يَعْصِمُنِي من الماء » قال : « لَاعاصِمَ اليومَ من أمر الله إلا من رحِمَ وحالَ بينهما الموجُ فكان من المغرَقين »

ثم نبع الماء من الأرض ، ونزل المطر من السماء حتى عـلا الماء فوق الجبال ، ومكث الطوفان ستة أشهر

ثم أوحى الله تعالى الى الأرض والسماء بقوله :

« ياأرضُ ابلعي مَاءكِ ، وياسماء أقلعِي ، وغيضَ الماء وقُضِيَ الأمر واستوت على الجودِيِّ »

وكان هذا الاستواء على جبل الجودى يوم عاشوراء

وبعد أن جفت الأرض « قيلَ يا نوح اهبط بسـلام منّا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك »

ثم ان من كان مع نوح من المؤمنين عاشوا بعـد ذلك قليلا ، فلم يبق إلا نوح وأولاده الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث ، ونساؤهم ، ففرق بينهم أبوهم نوح حتى ذهب كل الى ناحيـة فعمرها بأولاده حتى صار الآدميون كما ترى من عهد نوح الى وقتنا هذا من نسله عليه السـلام . ولذا سمى أبا البشر الثانى بعد سيدنا آدم عليه السلام

٢ — قصة سيدنا ابراهيم عليه السلام

كان سيدنا ابراهيم له أبٌ اسمه (آزر) وكان كافراً ، وأمٌّ اسمها « ليوثا » وكانت مؤمنة سراً . وقد ولد ابراهيم فى مدة ملك اسمه النمروذ ، كان ذا قوة ، وكان يعبد الأصنام ؛ ولما ملك جميع الدنيا ادعى الألوهية فعبدته الناس خوفاً منه

فلما صار ابراهيم مراهقاً بكَّتَ أباه بقوله :

« أتتخذ أصناماً آلهة إنى أراك وَقَومَك فى ضَلاَل مبين » حيث كان أبوه يعبد الأصنام ويتجر فيها

ثم صار ابراهيم يقول : ياقوم اعبدوا الله ربكم

فلما سمع النمروذ بذلك أحضر ابراهيم وقال له : أنا الذى خلقتك ورزقتك .

فقال له ابراهيم : كذبت ، ربى « الذى خَلقنى فهو يَهْدِينِ والذى هو يُطعِمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين »

فعند ذلك بهت النمروذ ومن معه معجبين من فصاحة لسانه ثم التفت النمروذ لآزر وقال له : خذ ولدك وحذره من بأسى .

فأخذه أبوه وصار يحذره فقال له ابراهيم :

« يا أبتِ لِمَ تَعْبُدُ مالا يَسْمعُ ولا يُبصرُ ولايغنى عنك شيئاً » فزجره أبوه ووبخه .

ثم بعد ذلك ترقب ابراهيم للأصنام ، ودخل عليها وكانت ثلاثة وسبعين صنما فكسرها بفأس ، ولم يمس الصنم الأكبر بسوء بل علّق القأس فى رأسه وذهب ؛ فلما دخلوا عليها وجدوها على هذه الحالة فظنوا أنه ما فعل ذلك إلا ابراهيم ، فأخبروا النمروذ وكان قبل أن يدعى الألوهية مشغوفا بعبادة الأصنام ، فأمر باحضاره .

فلما حضر قال النمروذ وقومه :

« أأنتَ فَعلتَ هذا بآلهتنا يا ابراهيم ؟ »

فأجابهم بقوله : « بل فَعله كَبيرُهم هذا فآسألوهم ان كانوا ينطقون »

ثم انه لما رأى الجهل محيطاً بهم قال :

« أُفٍّ لَكُمْ ولِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُون آللهِ أفَلاَ تَعْقِلُونَ »

فلما سمعوا ذلك تحققوا أنه الفاعل فقالوا :

« حَرِّقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين »

فجمعوا حطبا وخشبا مدة ثلاثة أشهر حتى صار كالجبل فاضرموا فيه النار فاشتعلت حتى ملأت الجوّ وعمّتْ جميع الجهات حرارتها وصنعوا منجنيقا ووضعوا فيه ابراهيم ورموه فى النار فصارت برداً وسلاماً على ابراهيم ، ونبعت عين ماء وبجانبها شجرة رمان وأتاه جبريل بسرير من

الجنة وتاج وحلة فلبسهما ابراهيم وجلس على السرير فى أرغد عيش ولم تؤثر فيه النار فآمن به خلق كثير .

ولما علم النمروذ بذلك قال له : ياابراهيم اخرج من أرضنا ، فخرج هو ومن آمن معه ، وتزوج بواحدة اسمها (سارة) فجاء الى مصر وأقام بها مدة فأعطاه ملك مصر جارية اسمها (هاجر) لما رأى من معجزاته ،

ثم رجع الى الشام وأقام بها .

وهو أول من أقرى الضيفان وأول من شابت لحيته .

٣ — قصة سيدنا موسى وأخيه هارون عليهما السلام

أرسل الله موسى وأخاه هارون لفرعون وملئه حيث طغى وادعى الألوهية وعبدته الناس خوفاً منه

ثم أن فرعون سمع بامرأة جميلة اسمها (آسية) فتزوجها وهى مؤمنة سراً فلما أراد أن يدخل بها تخشبت أعضاؤه ولم يستطع القرب منها فاكتفى بالنظر اليها

ثم أنه رأى مناما ، فسأل السحرة عن تفسيره ، فقالوا له :

إنه سيولد فى ملكك ولد يكون سببا فى هلاكك وهلاك قومك

فأمر بذبح من يولد من الذكور ، وكان (عمران) من وزرائه

فلما حملت امرأته بموسى لم يشعر بحملها أحد الى أن وضعته

فأوحى الله اليها أن القيه فى البحر ، فصنعت تابوتا ، و وضعته فى جوفه وهى باكية ، خصوصا وأن أباه قد مات فى ذلك الحين ، وقالت لأخته : انظرى اليه من بعيد ، ورمته فى البحر، فقذفته الأمواج الى أن دخل منزل فرعون ، فرأته ابنته ، وكانت برصاء (أى مصابة بداء البرص) فبملامستها له شفيت ؛ فأخذته وذهبت به الى آسية وأخبرتها بما حصل.

فقالت آسية لفرعون : لا نقتله ونربيه عندنا

فامتثل وأمر باحضار المراضع ، فحضرن ، فلم يمس ثدى واحدة منهن فقالت لهم أخته : « هَلْ أَدُلُّكُمْ على أهل بيت يكفلونه لكم ؟ »

قالوا : نعم ، فاحضرت أمه ، فأعطته ثديها فرضعه الى أن تم مدة الرضاع ، فأعطوا أمه ما يكفيها وتركته وذهبت ؛ فلما تم عمره أربعين سنة صار يأمر الناس بعبادة الله فبينما هو مار فى شوارع مصر إذ رأى رجلين يقتتلان أحدهما قبطى ، والثانى اسرائيلى من نسل يعقوب ، فاستغاث الاسرائيلى بموسى ، فجاء ووكز القبطى فى صدره ، فوقع ميتاً فتأسف موسى وطلب المغفرة من الله ، فغفر له

وفى اليوم الثانى رأى لاسرائيلى يتشاجر مع قبطى آخر فاستغاث بموسى فلم يغثه

ولما علم فرعون بما حصل من موسى قال : من رآه فليقتله

فخرج موسى من مصر خائفا الى أن وصل الى أرض مدين فوجد

بئرا والناس عليها مزدحمون لسقى غنمهم ووجد من دونهم امرأتين تمنعان غنمهما من السقى حتى ينصرف الناس

فقال لهما : لا تمنعا ، وأخذ الغنم وسقاها لهما

فلما رجعتا الى أبيهما شعيب أخبرتاه بموسى

فقال أبوهما لإحداهما : اذهبى ، واتينى به

فجاءته وكانت شديدة الحياء ، وقالت له :

« إنَّ أبي يَدْعوكَ ليَجْزيكَ أجرَ ما سقيتَ لنَا »

فلما دخل على شعيب وقصَّ عليه قصته قال له : لا تخف

ثم زوجه احدى ابنتيه على شرط أن يرعى له الغنم عشر سنين فقبل موسى وصار يرعى الغنم الى أن أتم مدته ، فاستأذن شعيبا فى العودة الى مصر فأذن له ، فأخذ زوجته وولده وغنمه وسار الى أن وصل الى جبل الطور فكلمه ربه وقال له :

« انى أنا رَبك » ثم قال له « اذهب الى فرعون انه طغى »

فسأل موسى ربه أن يرسل معه أخاه هارون ، فأجاب الله سؤاله ثم ان هارون كان وزيرا عند فرعون فأوحى الله اليه أن استقبل أخاك فانه قادم الى مصر ، فقام وقابله ، فبشره موسى بمشاركته له فى الرسالة ، ثم ذهبا الى أمهما وبعدها ذهبا الى فرعون وقالا له : قل لا إله الا الله وارجع عما أنت فيه

فقال لموسى: ان كنت رسولا من عند الله فات بآية (أى علامة) فرمى موسى عصاه فصارت ثعبانا، وأخرج يده من جيبه فصارت بيضاء كشعاع الشمس؛ وغير ذلك من الآيات كالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم حتى صاروا يرون هذه الأشياء فى مأكلهم ومشربهم

فقال فرعون هو وقومه: ان هذا لساحر

فأحضر فرعون السحرة وقال لهم: ابذلوا ما عندكم من السحر مع موسى ففعلوا، فرمى موسى عصاه، فصارت حيّة وابتلعت جيع مافعلوه. فعند ذلك آمنت جيع السحرة وخروا لله سجداً فأمر فرعون بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم فى جذوع النخل فرضوا بذلك ولم يرجعوا عن ايمانهم وكانوا سبعين رجلا

ثم أخذ موسى من آمن معه وسار، فتبعه فرعون وجنوده ليهلكه ومن معه الى أن وصلوا الى البحر؛ فضرب موسى البحر بعصاه فانفلق وصار اثنى عشر طريقا ويبس الماء، فدخل موسى وقومه فنزل فرعون وجنوده وراءهم، فنجا موسى ومن معه، وانطبق البحر على فرعون وجنوده، فغرقوا أجمعين

ثم أنزل الله التوراة على موسى، فصار يأمر الناس وينهاهم بما فيها الى ان توفاه الله وهو يقرأ فى التوراة صلى الله عليه وسلم

٤ — قصة سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام

من حكم الله تعالى أن خلق آدم من غير أب وأم ، وخلق حواء من غير أم ، وخلق عيسى من غير أب ، وخلق بقية نوع الانسان من أب وأم

ولما أراد الله تعالى أن يخلق نبيه عيسى أرسل الى مريم جبريل فى صورة انسان وكانت وقتئذ معتزلة فى مكان شرقى الدار حيث كانت تغتسل من حيضها ؛ فلما رأت جبريل استعاذت منه ليبتعد عنها ، فأجابها بأنه رسول من قبل الله جاءها ليهبها ولداً يكون نبياً « قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكياً »

فأجابته : كيف يكون لى ولد وأنا لم أتزوج ولست من أهل البغى « قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بَشرٌ ولم أكُ بغياً »

فقال لها : هذا أمر هيّن على ربك أراد ذلك ليكون علامة للناس على قدرته ورحمة لمن آمن به ، وقد حكم بأيجاده ولا محالة

فحملت به ولم تمض ساعة من حمله حتى أحست بألم الولادة ، فجاءت تحت جذع النخلة ووضعته ؛ ثم ذهبت الى قومها حاملة له ، فظنوا أنها جاءت به من طريق الزنا

« فأتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئا فرياً »

وهمّوا ليرجموها بالحجارة ، فأشارت لهم اليه ليسألوه

فقالوا لها : « كَيفَ نُـكلّمِ مَنْ كانَ فى المَهد صبياً »

فقال لهم عيسى : « إنى عبد الله آتانِيَ الكتابَ وجعلنى نبياً وَجعلنى مباركاً أينما كنتُ وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبرّاً بوالدتى ولم يجعلنى جبارًا شقياً والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً ».

فعند ذلك تحققت لهم براءتها .

ولما بلغ عيسى ثلاثين سنة بعثه الله رسولا ، وأنزل عليه الانجيل وآمن به خلق كثير .

ومن معجزاته أنه كان يصور من الطين طيراً فينفخ فيه فيكون طيراً باذن الله ، ويبرئ الأكمه ، والأبرص ، ويحيى الموتى باذن الله ؛

ومن معجزاته أيضا نزول المائدة من السماء واخبار قومه بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم

وقد اغتاظت منه اليهود فاتفقوا على قتله ، فهجموا عليه فى بيته ، فدخل واحد منهم اسمه (يهوذا) فلم يجده ، فدخلوا عليه فوجدوا فيه شبها من عيسى فقتلوه وصلبوه وأما عيسى فرفعه الله الى السماء

فذلك قوله تعالى : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبه لهم »

وقوله تعالى : « بَل رَفعهُ الله اليهِ وكانَ الله عزيزاً حكيًا »

وكساه الله أوصاف الملائكة وهو حىّ الى الآن .

وأما مريم أمه فتوفيت بعد رفعه بمدة قليلة ودفنت ببيت المقدس

ثم قيل انه ينزل قبل قيام الساعة، ويحكم بشريعة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، ولم يدع كافراً، ويمكث مدة أربعين سنة، ثم يحج ويزور قبر محمد صلى الله عليهما وسلم ثم يموت ويدفن بجواره

خلاصة سيرة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم

النبي العربي، الهاشمي القُرشي، أكرم العرب نسباً، وأشرفهم حسباً، هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وينتهي نسبه الى عدنان، ويتصل عدنان هذا بسيدنا اسماعيل ابن سيدنا ابراهيم عليهما الصلاة والسلام

ولد عليه الصلاة والسلام بمكة بعد وفاة والده عبد الله سنة ٥٦٩ بعد المسيح - عام الفيل - أى فيل أبرهة الأشرم الذى غزا به الكعبة. فقامت بتربيته والدته السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف وتوفيت وهو ابن ست سنين، فكفله جَدّه عبدالله بن هاشم سيد قريش. ومات لثمان سنين من ولادته، وعهد به الى ابنه أبي طالب، فأحسن ولايته وكفالته، وسافر به الى الشام سنة ٥٨٣ بعد المسيح ولما نزلا أرض بَصرى خرج راهب اسمه (بحيرى) من صومعته، وأخبر بأنه سيكون له ﷺ شأن عظيم، وسافر عليه الصلاة والسلام ثانية الى الشام تاجراً بمال خديجة بنت خويلد وكانت من أشراف قريش الأغنياء، فربحت

تجارته ربحا عظيما ، فشكرته وتزوجت به وحضر الزواج الملأ من قريش وكان عمره ﷺ وقتئذ ٢٥ سنة وعمرها أربعين سنة فخلفت منه جميع أولاده - ماعدا ابراهيم فانه من مارية القبطية

وكان عليه الصلاة والسلام مشهورا بين قومه بحسن السيرة واستقامة السلوك ، وجميل الخصال ، وجليل الفعال ، وكانوا يلقبونه بالأمين ، ويعتبرونه أحسن من يقتدى به ، وأعظم امام يتبع ، ولما بلغ من العمر أربعين سنة أرسله الله تعالى الى الناس كافة بشيراً ونذيراً ، فدعاهم الى عبادة الله وترك عبادة الاصنام فأسلمت اليه وآمنت به خديجة وأبو بكر وعلى بن أبي طالب وزيد بن حارثة وغيرهم . ثم تزايد عدد المسلمين ؛ وقد زاد فى علو شأنه وقوة سلطانه اسلام عمر بن الخطاب ؛ وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهو يدعو الناس الى الدين القويم ؛ ولم يقعده عن نشر ارادة الله تهديد كفار قريش له ، ولا موت عمه وزوجته خديجة ، وأخذ أمره يظهر رويداً رويداً ، فاستاء أهل مكة ورأوا فى دعوته كساداً لتجارتهم فعزموا على الايقاع به وبأصحابه واتفقوا على قتله ليلاً ، فأوحى الله بذلك اليه فوضع علياً على فراشه وغطاه ببردته وتحصن بالله وخرج على القوم ونثر التراب على رءوسهم فلم يروه حتى خرج من مكة وتقابل مع صاحبه أبى بكر الصديق خارجها كما اتفقا .

وهذا هو سبب هجرته من مكة الى المدينة وكان قد تصرم من ربيع

الأول ٨ أيام أي فى ١٥ أو ١٦ من شهر يوليه سنة ٦١٢ بعد المسيح ، وهى السنة التى يبدأ منها تاريخ الاسلام الهجرى ، فخرج القوم على أثر الأقدام الى أن وصلوا الى الغار الذى دخلا فيه ، فوجدوا العنكبوت فوقه والحمام معششاً عليه ، فرجعوا خائبين وقد جعل قومه مكافأة لمن يحضره لديهم فذهب سراقة بن مالك فلحقهما ، فشاور عليه النبى ﷺ فغاصت أرجل فرسه فى الصخر ، فاستغاث بالنبي ، فأشار لها فقامت ، فطمع فى المكافأة ثانيا ، فكر عليهما ، فشاور عليه النبي ، فصاحت قوائم فرسه ، فاستغاث بالنبي ، فأشار لها فقامت ، فرجع الى مكة خائبا ، ووصل ﷺ المدينة بعد مضى ستة أيام فلاقاه أهل المدينة بالاكرام ونصروه فسمّوا بالأنصار كما سمى من هاجر معه المهاجرين

وقد آمن به خلق كثير ، ومكث ثلاث عشرة سنة من مبعثه الى هجرته يدعو الناس الى الاسلام صابرا على الأذى .

ولما اشتد ساعده فى المدينة عزم على محاربة أهل مكة فجهز جيشا صغيرا من أنصاره وغزا قريشا غزوات عديدة أولها غزوة بدر (فى السنة الثانية من الهجرة) التى انتصر فيها المسلمون على أهل مكة انتصاراً باهراً . وفى السنة الثالثة غزاهم أيضا قرب (أُحُد) وكان جيشه أقل بكثير من جيش الأعداء فغلبهم .

ثم غزا محمد مكة ففتحها عنوة وحول الكعبة من بيت أصنام الى

مسجد لله يحج اليه المسلمون من أقطار المعمورة . وبفتح مكة تمت له الغلبة على العرب فجاءوا اليه من كل الجهات ودخلوا فى طاعته وكان ذلك فى السنة التاسعة من الهجرة النبوية

وفى العاشرة حجَّ فى جموع كثيرة حجة الوداع وخطب فيهم يوم النحر بمنى وودّع الناس فقالوا هذه حجة الوداع

ولما رجع الى المدينة مرض وتوفاه الله فى الثانى عشر من ربيع الأول سنة ١١ بعد الهجرة ودفن بها ، ومدفنه يعرف بالحرم النبوى . وبلغ سنه صلى الله عليه وسلم ثلاث وستين سنة

شمائل الرسول ومعجزاته

أما شمائله وصفاته الكريمة ﷺ ، فكان أحسن الناس خَلْقاً وخُلُقا وأرجحهم عقلاً ، وأفضلهم رأيا ، وأوسعهم صدراً ، وأطهرهم طبعاً وأشجعهم قلباً ، وأسخاهم يداً ، وأطيبهم نفساً ، وأكرمهم حسباً ، وأعظمهم حلماً ، وأصدقهم قولاً ، وألطفهم معاملةً ، وأحسنهم جواباً وأوفاهم أمانة وذمة ، وأعلاهم همةً ومروءةً . ويكفى أن يقول فى وصفه سيدنا حسان :

وأحسن منك لم تَرَ قطُّ عينى   وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مُبَرَّأً من كل عيب   كأنك قد خلقت كما تشاء

أما معجزاته ﷺ فمن يوم مبعثه الى يوم وفاته كلها معجزات

باهرات وآيات بينات، دالة على أنه رسول الله حقاً

فمن أعظم تلك المعجزات : القرآن الكريم ، لأن بلاغته أعجزت الفصحاء ، وأفحمت الخصماء ، مع أنه ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب

ومنها : انشقاق القمر حينما طلبت قريش منه ذلك « اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانشقّ القمرُ »

ومنها : نسيج العنكبوت ، وتعشيش الحمام على فم الغار لما دخله هو وأبو بكر الصديق رضى الله عنه

ومنها : إبراء الأمراض والآلام بمجرد اللمس والنَّفْثِ

ومنها : تأييده بالنصر فى جميع الغزوات وامداده فيها بالملائكة والريح العاصف

ومنها : هداية الناس واخراجهم من الظلمات الى النور مع وحدته وكثرة أعدائه وقوة حَمِيَّةِ الجاهلية فيهم

ومنها : قلب كيان الأمة العربيـة من البَدَاوة البحتة الى الحضارة والمدنية الصحيحة

وفقنا الله الى العمل بشريعته، وأماتنا على سنته . آمين

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثانى (إن شاء الله تعالى)

فهرس الكتاب